مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية م ١١ ، ص ص ٥٥ - ١٠٤ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)

تجارة البن اليمني :
دراسة في العلاقة بين الشؤون التجارية والسياسية في اليمن
٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م - ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م

هاني زامل عبدالإله مهنا

أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة الملك عبدالعزيز جدة

المستخلص : تتضمن هذه الدراسة الفعاليات السياسية التي واكبت ظهور البن و ازدهار تجارته ببلاد اليمن حيث يتناول التمهيد بصورة مختصرة كيفية ظهوره و انتشاره إسلامياً وعالميا ثم يتناول البحث مراحل تجارة البن اليمني ، حيث قُسمت هذه المراحل إلى ثلاث ، تبعاً لازدهار هذه التجارة و اضمحلالها ، ومن ثم عودة ا لاهتمام بها . ويتطرق البحث إلى الحياة السياسية المواكبة لهذه المراحل الثلاثة . وتخلص هذه الدراسة إلى أن هذه التجارة قد أثرت وتأثرت بالحياة السياسية في اليمن . فإن ا لاضطرابات السياسية في البلاد حالت دون أن تكون هناك صناعة للبن يمكن أن تشكل دخلاً قومياً مهماً للبلاد ، أسوة بتلك الصناعات التي قامت في غيرها من المناطق . كما أن تجارة البن اليمني ساعدت - على النطاق العالمي - أن تكون بلاد اليمن محط أنظار بعض القوى الغالبة في المنطقة ، وعلى النطاق المحلي كانت مناطق زراعته وتسويقه هدفاً للحكام المحليين الطامحين في تقوية مركزهم المالي والسياسي في البلاد الأمر الذي أدى إلى قيام حروبٍ وصراعاتٍ شتى من أجل تحقيق هذا الغرض .

مقدمة

يعود لبلاد اليمن فضل اكتشاف بذرة البن و اتخاذها شراباً انتشر سريعاً بين الناس في أرجاء المعمورة ، وعلى الرغم من أن تجارة البن في مستهل أمرها كانت حكراً على اليمنيين ، ومن ثم التجار المسلمين ، إلا أنها ما لبثت أن خرجت من أيديهم خاصة بعد استزراع الأوروبيين لنبتة البن خارج اليمن ، فغدا الإنتاج اليمني لا يشكل حجماً يُذكر من الإنتاج العالمي . وعلى الرغم من ذلك ظل البن اليمني مطلباً عزيزاً تبعاً لجودته وندرته . سنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على تجارة البن اليمني وما واكبها من أحداث سياسية ألمت بالبلاد ، وما كان لهذه التجارة من آثار سياسية انعكست على بلاد اليمن .

لقد قُسم هذا البحث إلى عدد من التقسيمات التنظيمية . فمهدنا بالحديث عن اكتشاف بذرة البن و انتشارها في الأمصار الإسلامية ومن ثم العالمية . ثم قسمنا مراحل تجارة البن إلى ثلاث مراحل تبعاً لظهورها و ازدهارها ، ثم مرحلة اضمحلالها ، حيث وجد الأوروبيون بدائل تحل محل البن اليمني ، ثم مرحلة عودة الاهتمام بالبن اليمني بدخول الأمريكيين إلى ساحة التجارة اليمنية .

ولا يخفى أن البحث في تجارة البن اليمني موضوع يعتوره العديد من الإشكالات ، وتأتي في مقدمتها ندرة المصادر اليمنية الأصيلة المتعلقة بالموضوع ، الأمر الذي يضطر الباحث للاعتماد اعتماداً كبيراً على المصادر الغربية ، وتقارير القناصل الأوروبية في الحديدة وعدن . ولا شك أن هذا الأمر يدفع الباحث في كثير من الأحيان إلى الدخول في تعميمات يجبره عليها سكوت تقارير هؤلاء القناصل عن بعض التفصيلات الضرورية . كما أن هذه التقارير ليست شاملة لجميع سنوات مرحلة البحث ، لذا اضطُررنا في بعض الأحيان أن نقيس إنتاج اليمن من البن مثلاً لسنة لا تتوفر عنها معلومات كافية بسنة ماضية أو تالية آخذين بعين الاعتبار ما ينجم عن هذا التقدير من خطأ نحسبه خطأ يسيرا ؛ إذ إننا لا نبني عليه كثيراً من الاستخلاصات .

تمهيد

تشير معظم الدراسات المتعلقة بنبتة البن إلى أن الموطن الأصلي لهذه النبتة لا يخرج عن المناطق المرتفعة في كل من الحبشة واليمن، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه النبتة ظهرت أولاً في الحبشة ثم انتقلت إلى بلاد اليمن بكيفية ووقت لا يمكن تحديدهما على وجه الدقة. وتختلف المصادر التاريخية التي بين أيدينا في تحديد تاريخ معرفة الإنسان بنبتة البن، فالبعض يرجع هذه المعرفة إلى عهد النبي سليمان عليه السلام، والبعض الآخر يكتفى بالإشارة إلى أن هذه النبتة كانت معروفة في زمن الطبيب المسلم أبوبكر الرازي في القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري وأنه قد وصف خواصها الطبيعية وفوائدها الطبية [(١)].

ويعود استعمال القهوة كشراب متداول بين الناس إلى أحد شيوخ الطرق الصوفية في بلاد اليمن، حين اكتشف بذورها عن طريق الصدفة المحضة، ولمّا عرف ما بها من خواص منشطة تُساعد على السهر نشرها بين اتباعه ومُريديه، ومنهم انتقلت إلى كافة فئات المجتمع اليمني، ومنه إلى سائر الأمصار. ويقرن مؤرخو القهوة أمر اكتشافها باسم شيخين من شيوخ الصوفية اليمنيين وهما: الشيخ على بن عمر الشاذلي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، والشيخ محمد بن سعيد الذبحاني (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) مع اختلاف بيّن في تحديد أي من الشيخين كان له قصب السبق في أمر اكتشافها، ويميل بعض من أرخ للقهوة إلى القول بأن الشيخ الشاذلي كان له فضل اكتشافها وأن الشيخ الذبحاني يرجع إليه فضل انتشارها في مجتمع عدن على وجه الخصوص ومنه إلى سائر فئات المجتمع اليمني[(٢)]، ولعل وفاة الثاني بعد الأول بأربع وخمسين عاما ترجح ذلك أ*.

ولا يُعلم على وجه الدقة كيفية وزمن وصول البن، و اتخاذه شراباً بمكة المكرمة، ولكننا نستطيع أن نذهب بشيء من الاطمئنان إلى أن القهوة كانت معروفة ومتداولة بين أهالي مكة المكرمة عام (٩١٧هـ/ ١٥١١م) [(٣)]. ويدفعنا إلى هذا الاطمئنان ما أورده الجزيري على لسان فخر الدين أبوبكر بن أبي يزيد المكي حيث قال: "وأما نحن

فقد أدركنا القشر يرى بمكة وغيرها منذ عشرين سنة وأكثر ، ولم تظهر القهوة منه إلا في أواخر القرن التاسع وإلى هذا الآن من القرن العاشر ، ولم يتكلم عليها أحد من علماء الزمان ، لأن الظاهر مما حررناه أنها لم تكن في زمانهم ، ولم يتكلموا عليها ، إذ لم يروا فيها ما يقتضي التكلم " (٤) ، ومعروف أن شراب القشر يُقصد به قشر القهوة حيث كان هو الشراب السائد في بلاد اليمن وفي الحجاز إلى عهد قريب ، ومن البدهي أن نفترض أن شرب القهوة انتشر بداية بين متصوفي مكة المكرمة والمدينة المنورة عن طريق إخوانهم في الطريقة من اليمينيين ، ومنهم إلى عامة الناس وكافة الأمصار ، وقد ظهرت القهوة في مصر في العقد الأول من القرن العاشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث كانت تُشرب بالجامع الأزهر برواق اليمن من قبل اليمنيين ومن يسكن معهم من أهل الحرمين الشريفين وغيرهم ، وبيعت القهوة في حارة الجامع الأزهر وغيرها من المواقع في مدينة القاهرة (٥) .

وعرفت دمشق القهوة حوالي ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م و انتشرت في حلب حوالي ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢، ويرى البعض أنها عرفت في الأستانة منذ ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م . ومن الثابت أن القهوة لم تنتشر في الأستانة على نطاق واسع إلا حوالي سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٠م ، وبدأت بيوت القهوة في الظهور بهذه المدينة منذ ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م . ولعل صدور فرمان السلطان العثماني سليمان القانوني في العام نفسه و القاضي بمنع تداولها خير دليل على سعة انتشارها بين فئات المجتمع العثماني في الأستانة (٦) .

ولعل هيمنة العثمانيين على معظم مناطق الشرق الأدنى ، بما في ذلك بلاد اليمن ، قد ساعد على انتشار القهوة و ازدهار تجارة البن بين ولايات الدولة المترامية الأطراف ، فقدرة العثمانين آنذاك على حماية طرق تجارتهم مكنت تجارة البن من أن تنتقل سريعاً بين ولايات الدولة ، كما أن اتصالات العثمانيين بالدول الأوروبية سنحت لهذه السلعة أن تجد أسواقاً جديدة في القارة الأوروبية . فقد نقلت أخبار القهوة إلى أوروبا عن طريق الرحالة الغربيين إضافة إلى التقارير التي كان يرسلها القناصل الأوروبيون من الأستانة لعواصمهم عن الحياة في الأستانة ومستجداتها ، ومن هذه المستجدات انتشار

شرب القهوة . ولا يمكننا تحديد تواريخ دقيقة لانتشار شرب القهوة في مختلف المدن الأوروبية ولكننا نستطيع أن نتخذ من أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلاديين / العاشر والحادي عشر الهجريين تاريخاً مُحتملاً لبداية هذا الانتشار . فيذهب بعض من أرخ للقهوة في أوروبا إلى أن البندقيةكانت أول من عرف القهوة من بين المدن الأوروبية حوالي أواخر القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر الهجري وذلك نتيجة لنشاط سفيرها في الأستانة سنة ١٥٨٥م/ ٣- ٩٩٤هـ ، الذي أمدّ بلاده بأخبار القهوة بصورة مفصلة ، كذلك الحال في انجلترا التي عرفت القهوة فيما بعد الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري ، وقد بيعت القهوة في أسواق امستردام حوالي ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م ، كما عرفها أهل مرسيليا حوالي ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م ، ولعل ما قام به سفير السلطان العثماني محمد الرابع لدى بلاط لويس الرابع عشر من عمل تمثل في إحضار كميات كبيرة من البن إلى باريس ، إضافة إلى حرصه على الحفاظ على عادة شرب القهوة وفق التقاليد العثمانية كان مدعاة لانتشار شرب القهوة بين أوساط الباريسيين سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٩م ، و انتشرت دور القهوة في كافة المدن الأوروبية الرئيسية ، وكان روادها من الطبقات الغنية وذلك لارتفاع سعر القهوة إبان انتشارها . وعندما انخفضت أسعارها تبعاً لإيجاد مصادر أخرى لإنتاجها أصبحت هذه الدور منتدى لجميع فئات المجتمع [٧] .

وتبعاً لذلك انتشرت دور القهوة في كافة المدن الأوروبية حيث أنشئ أول بيت للقهوة في إنجلترا ١٦٥٠م/ ١٠٦٠هـ ، باريس ١٦٧١م/ ١٠٨٢هـ ، البندقية ١٦٨٤م/ ١٠٩٥هـ . وتشير بعض المصادر إلى أن الهولنديين هم أول من أوصل البن إلى نيو أمستردام/ نيويورك الحالية ، وذلك إبان احتلالهم لها (١٠٣٤هـ - ١٠٧٦ هـ)، (١٦٢٤م - ١٦٦٤م) . ويرى أخرون أن الإنجليز هم أول من أدخل القهوة إلى نيويورك فيما بين (١٦٦٥-١٦٧٣م)(١٠٧٥-١٠٨٤هـ) [٨] .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يمض وقت طويل على انتشار شرب القهوة في الأمصار الاسلامية إلا وقامت في هذه الأمصار معارضات شديدة لهذه البدعة

المستهجنة من البعض . ووصل الحال ببعض معارضي شربها إلى درجة تحريمها شرعاً . وكانت جل هذه المعارضات تحمل الصبغة الدينية في ظاهرها وتخفي تحتها العديد من الأغراض السياسية . ففي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م ، وبعد محاكمة صورية للقهوة وتأثيرها على الإنسان استصدر خاير بك المعمارمحتسب مكة المكرمة من قبل المماليك فتوى من هيئة مشكلة من بعض علماء مكة تقضي بتحريم شرب القهوة ، وتطالب تبعاً لذلك بإقفال بيوتها ، وقد قام خاير بك بتنفيذ هذا الأمر سريعاً إلا أن أمور القهوة عادت إلى ما كانت عليه بعد عزله من منصبه سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م (٩) . وشهدت القاهرة معارضات شديدة لشرب القهوة قادها الشيخ عبد الحق السنباطي ومن بعده ابنه أحمد سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م . وقد اعتبر أحمد السنباطي أبا المعارضة ا لاسلامية في مصر لشرب القهوة حيث أصدر فتوى بتحريمها وأخذ يحث المسلمين على محاربتها في خطبه المتكررة الأمر الذي أدى إلى قيام مصادمات دموية بين أنصاره وأنصار شرب القهوة ، ولم تهدأ الأحوال إلا عندما أصدر مفتي القاهرة الشيخ محي الدين محمد بن إلياس فتوى بتحليل شربها . ولم يسلم تداول القهوة من المعارضة في شتى الأمصار الإسلامية ، ولا يتسع المجال هنا للحديث عن هذه المعارضة (١٠) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : لماذا اتخذ هذا الموقف السلبي من القهوة ؟ والإجابة على هذا التساؤل تقتضي التحقق من آثار انتشار شرب القهوة الدينية والاجتماعية والسياسية ، فمن المعروف أنه قد صاحب انتشار شرب القهوة افتتاح بيوت لها يؤمها الناس من كافة الطبقات خاصة في مكة المكرمة ، القاهرة ، دمشق و الأستانة، وقد تعدى دور هذه الدور شرب القهوة إلى لعب الشطرنج ، والسيجة ، والمنقلة ، واجتماع الرجال والنساء للغناء واللهو وغير ذلك من الأمور التي يرفضها الشرع رفضاً قاطعاً ، فأصاب القهوة ما أصابها نتيجة لاقترانها بذلك . وقد أدرك بعض علماء الدين هذا ، فأفتوا بتحليل شرب القهوة إذا لم يخالطها أمر من أمور اللهو المحرم شرعاً ، كما فعل الشيخ ابن العراق (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م) في مكة المكرمة . وقد أفتى بعض العلماء بأن القهوة تحرم لأنها تحمص حتى تصبح أشبه بالفحم ، وهو من الخبائث المحرم

تناولها. ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى هذه العوامل مجتمعة عاملا على درجة كبيرة من الأهمية ألا وهو العامل السياسي . فمن الثابت تاريخياً أن بيوت القهوة كانت منتدى فكرياً يقصده أهل الفكر والثقافة من كافة طبقات المجتمع يناقشون فيه أمور حياتهم السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها وقد يؤدي هذا التجمع في أوقات الاضطرابات السياسية و الاقتصادية إلى إثارة الفتن والقلاقل في المجتمع الأمر الذي يدفع المسئولين إلى سد ذرائعه بأي وسيلة كانت ، وكان أسهلها إقفال بيوت القهوة وتحريم تعاطيها وهذا ما فعله الصدر الأعظم محمد باشاكوبريلي خلال حرب الدوله العثمانية مع كانديا(١١) .

مراحل تجارة البن اليمني

لقد مرت تجارة البن منذ اكتشافه ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م تقريباً إلى حوالي منتصف العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري بمراحل مختلفة من حيث الازدهار والتأثر والتأثير على مجرى الحياة السياسية في بلاد اليمن ، وتتداخل هذه المراحل مع بعضها البعض بتداخل الأحداث السياسية بحيث تصعب محاولة تحديد سنوات بعينها كبداية أو نهاية لكل مرحلة من هذه المراحل إلا أننا نستطيع استناداً إلى مدى ازدهار هذه التجارة أو اضمحلالها أن نحصر هذه المراحل بشكل تقريبي فيما يلي:

المرحلة الأولى : (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م إلى ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م)

يصعب على الدارس لتجارة البن في هذه المرحلة تحديد حجم هذه التجارة تحديداً دقيقاً ، وذلك بسبب ندرة المصادر المُتاحة التي تناولت هذه التجارة بالتفصيل ، غير أن الإشارات المتناثرة في ثنايا تواريخ المنطقة تشير إلى أن البن غدا سلعة تجارية على درجة كبيرة من الأهمية خاصة بعد انتشار شرب القهوة في الأستانة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٠م . ولقد ساعد حكم العثمانيين للبلاد العربية وبلاد اليمن على وجه الخصوص ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م على سرعة انتشار شرب القهوة بين الولايات العثمانية وبالتالي ازدهار تجارة البن ، حيث أصبحت الأستانة -في فترة لاحقة- أكبر مستهلك للبن

اليمني. لقد حرص العثمانيون منذ بداية حكمهم لليمن أن يجعلوا البحر الأحمر بشقيه الأفريقي والعربي بحيرة عثمانية، وذلك حماية للأماكن المقدسة من الأخطار المحدقة بها جراء التغلغل البرتغالي في البحار الشرقية، كما عمدوا إلى جعل تجارة البحر الأحمر حكراً على التجار المسلمين دون غيرهم [١٢] وتبعاً لذلك تردد على ميناء المخا اليمني العديد من تجار الحجاز، مصر، سوريا، مراكش، والأستانة وغيرهم [١٣] وقد كان لهؤلاء التجار شبكة من المساعدين والوكلاء يقومون بكل العمليات التجارية سواء أكان ذلك في ميناء المخا أم في مناطق إنتاج البن في المناطق الداخلية وكانت إقامة هؤلاء الوكلاء بصفة شبة دائمة، إما في المخا أو في مدينة جدة والتي اعتبرت نقطة نهاية طريق تجارة مصر، كما اعتبرت مركزاً رئيساً لتوزيع البن اليمني [١٤].

ومن الثابت تاريخياً أن السنوات الأخيرة للحكم العثماني الأول لليمن(١٥٣٨-١٦٣٥م) (٩٤٥-١٠٤٥هـ) شهدت محاولات الشركات الأوروبية التجارية الكبرى المتاجرة مع السواحل اليمنية وإيجاد مواطئ أقدام ثابتة على هذه السواحل. وقد تباينت مواقف الولاة العثمانيين في اليمن من هذه الشركات، إلا أن المحصلة النهائية لهذه المحاولات كانت افتتاح وكالات تجارية أوروبية في المخا وغيرها من الموانىء اليمنية. فأقيمت أول وكالة تجارية لشركة الهند الشرقية الإنجليزية بالمخا ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م وأقيمت الوكالة التابعة لشركة الهند الشرقية الهولندية (V.O.C) بالمخا حوالي ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م. وجاءت إطلالة الفرنسيين ممثلين في شركة الهند الشرقية الفرنسية متأخرة قليلاً عن مثيلتيها الأوروبيتين، إذ إن تجارة االفرنسيين وبالتالي إنشاء وكالة للشركة الفرنسية لم يتم إلا في ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م [*ب].

ومن الجدير بالذكر أن شركة الهند الشرقية الهولندية كانت قد بدأت في تصدير البن إلى أمستردام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٧م، إلا أن الكميات المصدرة لم تكن كميات كبيرة حيث ان شرب القهوة لم يكن قد انتشر في أوروبا آنذاك، فلم تنتظم عمليات تصدير البن إلى أمستردام وبكميات تجارية إلا حوالي ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م [١٥]. وعلى الرغم من ذلك كان التجار الأوروبيون عبر هذه الشركات وخاصة شركة الهند الشرقية

الهولندية يتاجرون بالبن محلياً وذلك لإدراكهم مدى ما تجره هذه التجارة من عوائد مجزية .

لقد انتشر شرب القهوة في أوروبا انتشاراً سريعاً منذ حوالي النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري ، فأصبحت الأسواق الأوروبية بقوتها الشرائية تبعا لذلك سوقاً مهمة للبن اليمني ، فكان من الطبعي أن تزدهر تجارة البن اليمني ، وأن تجني اليمن أرباحاً طائلة من وراء هذه التجارة باعتبار اليمن هي المصدر الوحيد في هذه المرحلة - للبن في العالم . ولم يكن الإنتاج اليمني من البن يفي بمتطلبات الأسواق المتزايدة ، فلقد كانت السفن الهولندية الضخمة والتي تصل حمولتها إلى (٧٠٠طن) تحمل سنوياً من ميناء المخا ببضائع يأتي البن في مقدمتها لتباع في أمستردام ، ولعل هذا ما دفع الهولنديين إلى إعادة فتح وكالتهم في المخا لتمارس نشاطها التجاري الفعلي حوالي ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م ، وكانت قد أُغلقت هذه الوكالة نتيجة للاضطرابات السياسية في اليمن ابان مرحلة الصراع العثماني الزيدي والذي استمر إلى ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م [١٦] .كذلك الحال مع شركة الهند الشرقية الإنجليزية حيث كانت الشركة ترسل سفينة واحدة كل سنتين إلى المخا لنقل البن على الرغم من أن تجارة البحر الأحمر بصفة عامة لم تكن ذات عوائد كبيرة لهذه الشركة . ومن المعروف أن نشاط الفرنسيين التجاري على السواحل اليمنية لم يستمر أكثر من خمسين عاما بعد افتتاح وكالتهم بالمخا ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ، وإن ظلت سفنهم إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري تزور الموانيء اليمنية من حين لآخر [١٧] .

ومن المعروف تاريخياً أن الحكم العثماني الأول لليمن وجد معارضة شديدة من قبل اليمنيين تحت قيادة الأئمة الزيديين، فما إن شرع العثمانيون في التغلغل إلى قلب المناطق الداخلية اليمنية ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م حتى بدأ صراعهم مع القوى الزيدية ممثلة في المطهر بن شرف الدين الذي تمكن في الفترة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م - ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م من إرهاق كاهل العثمانيين بحروب مُتتابعة كادت أن تخرجهم من اليمن في وقت مبكر، إلا أن موقف السلطان العثماني الحازم سليمان القانوني وإرساله الدعم

العسكري اللازم لولاته باليمن مكنهم من القضاء على هذا التمرد ، وما إن تنفس العثمانيون الصعداء بوفاة المطهر (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) حتى ظهر ثائر آخر تمثل في شخص الإمام القاسم بن محمد (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) ، وقد تتابعت حروب هذا الإمام مع العثمانيين و انتصاراته عليهم حتى تسلم راية الثورة من بعده ابنه الامام محمد بن القاسم (١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) ، وقد تمكن هذا الإمام في نهاية المطاف من إخراج العثمانيين من بلاد اليمن (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) [١٨] ولا يخفى ما لهذه الحروب من انعكاسات سلبية على التجارة ، وقد ظهر بعض هذه الآثار جلياً عندما قرر الهولنديون إقفال وكالتهم التجارية بالمخا (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) ، واكتفوا بإرسال سفنهم التجارية من حين لآخر إليها [١٩] .

وخلف الأئمة الزيديون العثمانيين في حكم اليمن ، وكان عهد الإمام إسماعيل بن القاسم دون سائر الأئمة عهد استقرار سياسي نسبي (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م - ١٠٨٧/ ١٦٧٦م) ، وقد انعكس هذا ا لاستقرار النسبي إيجابياً على تجارة البن ، حيث نجد أن إمبراطور الحبشة فاسيليدس "Fasiledes" (حكم في الفترة من ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م - ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) ، يراسل الإمام إسماعيل مقترحاً تبادل البضائع مباشرة بين الحبشة واليمن . وعلى الرغم من أن فاسيليدس لم يحدد ما هية هذه البضائع في رسالته إلا أن إشارته إلى سوق المخا تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن البن كان على رأسها ، ولم تجد محاولات إمبراطور الحبشة صدى إيجابياً لدى الإمام إسماعيل بن القاسم الذي كان لا يريد منافسة للبن اليمني في موانئه إن هو سمح للبن الحبشي الوصول إلى ميناء المخا ، كما كان يأمل إمبراطور الحبشة [٢٠] . كذلك ارتبط الإمام إسماعيل بن القاسم ببعض العلاقات التجارية مع سلاطين الدولة المغولية في الهند ، والسلطان شاهجهان (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م - ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م) ، حيث كانت التجارة منتظمة بين رعايا المنطقتين، ولا تحدد المصادر التي بين أيدينا تفاصيل هذه الاتفاقات التجارية ، وإن كنا نرى أن البن كان أهم منتج حرص الإمام على تسويقه ،من جهة أخرى انعكست علاقات الإمام إسماعيل الودية مع الشاه عباس الصفوي الثاني (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م -

١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) على التجارة بين البلدين ، لدرجة أن الشاه عباس الثاني أخذ يحث الإمام إسماعيل على مهاجمة سلطان اليعاربة في عمان لأن العمانيين كانوا يشكلون منافساً قوياً للتجارة الفارسية في اليمن والبحر الأحمر (*ج) . فقد كان التجار العمانيون كثيري النشاط في الموانئ اليمنية وخاصة المخا ، حيث كانت سفنهم تنقل البن إلى موانئ عمان وجدة (٢١) .

ومن الجدير بالذكر أن تجارة البحر الأحمر ، وعلى وجه الخصوص التجارة في السواحل اليمنية لم تكن آمنة تماماً على الرغم من ا لاستقرار النسبي الذي كانت تنعم به اليمن في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم ، إذ إن قراصنة البحر الأوروبيين وغيرهم كانوا عادةً ما يحاصرون المواني ويهاجمون السفن الداخلة إليها أو الخارجة منها ، ينهبون بضائعها ، ويقتلون رجالها (*ج) ، وقد يتعدى هذا الأمر إلى مهاجمة الموانئ نفسها الأمر الذي يدفع حكام هذه الموانئ إلى التعامل معهم ، إما بالقتال أو الاتفاق على مصالح مشتركة (٢٢) .

ويجد الباحث في تجارة البن صعوبة كبرى - كما ذكرنا سابقاً - في تحديد حجم تجارة البن تحديداً دقيقاً ، أو وضع جدول إحصائي بالعوائد السنوية لهذه التجارة وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها : عدم وجود سجلات منتظمة للتجارة الداخلة أو الخارجة من وإلى الموانئ اليمنية - إن التجارة في بعض الأحيان كانت تقوم على مقايضة السلع التجارية بعضها ببعض الأمر الذي يصعب معه تحديد الكميات المعروضة للمقايضة . إن الفوضى السياسية التي كانت تحياها بلاد اليمن خاصة بعد وفاة الإمام اسماعيل بن القاسم جعلت الحكام المحليين للمواني حكاماً مطلقي الصلاحيات ، الأمر الذي دفعهم إلى استغلال دخول المواني لمصالحهم الخاصة دون أن تكون هناك سجلات مكتوبة توضح حجم هذه الدخول .

ولعلنا نستطيع في ختام حديثنا عن التجارة في هذه الفترة الزمنية (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م - ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م) أن نخلص إلى أن هذه المرحلة تميزت بسمات يمكن إيجازها فيما يلي :

١) أن اليمن في معظم هذه الفترة الزمنية ، كانت هي المصدر الوحيد للبن في العالم، و أن إنتاجها لم يكن يفي بمتطلبات السوق العالمية الأمر الذي دفع هذه الشركات الأوروبية إلى محاولة إيجاد بدائل لليمن في إنتاج البن .

٢) أن الفترة الممتدة من (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م - ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) من هذه المرحلة كان استهلاك البن اليمني فيها قصراً على البلاد الإسلامية ، وأن الدولة العثمانية كانت الراعي الأساسي لهذه التجارة بحكم سيطرتها على معظم البلاد العربية بمافيها بلاد اليمن .

٣) أن الاضطرابات السياسية التي كانت تحياها اليمن أثرت تأثيراً مباشراً في هذه التجارة ، وتبعاً لذلك عجزت اليمن عن الإيفاء بمتطلبات السوق العالمية .

٤) أن المعلومات الدقيقة في تفاصيل هذه التجارة تكاد تكون شحيحة ، الأمر الذي يدفع الدارس إلى الدخول في تعميمات قد لا تكون دقيقة .

٥) أن شركة الهند الشرقية الهولندية ، كانت الأكثر هيمنةً ونشاطاً على الساحة التجارية اليمنية ، من بين الشركات الأوروبية التجارية الأخرى .

المرحلة الثانية : (١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م إلى ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) :

لقد تميزت هذه المرحلة بتدهور تجارة البن اليمني ، وذلك ابتداءً من العقد الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري . وقد أدى هذا التدهور في تجارة البن اليمني إلى تدهور الحياة الاقتصادية والعمرانية في ميناء المخا . فبعد أن كانت اليمن ولمدة تزيد على قرنين كاملين المصدر الوحيد للبن في العالم ، تعددت مصادر إنتاجه ، وذلك بعد نجاح تجارب الهولنديين في استزراعه بمستعمراتهم بجزر الهند الشرقية (١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م) ، فغدت جزيرة جاوا المصدر الأساسي لتجارة البن في العالم وذلك قبل أن تنتقل الأفضلية منها إلى البرازيل في مرحلة لاحقة . وترتب على هذا أن أصبح الناتج السنوي من البن اليمني لا يشكل أهمية تُذكر بالنسبة للاستهلاك العالمي .

ويمكن لنا أن نوجز أسباب هذا التدهور فيما يلي :

أولاً : أن الشركات الأوروبية ممثلة في شركة الهند الشرقية الهولندية ، كانت قد بدأت في البحث عن مصادر للبن غير بلاد اليمن منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي تقريباً . وقد وجد الهولنديون ضالتهم في مستعمراتهم بجزر الهند الشرقية . وبدأت هذه المناطق مع حلول العقد الأول من القرن الثامن عشر الميلادي في تصدير كميات تجارية ضخمة من البن إلى مختلف مناطق العالم ، ولم ينقض الربع الأول من القرن نفسه إلا وكانت هذه المستعمرات المركز الرئيسي لتجارة البن في العالم (٢٣) . من جهة أخرى حرص التجار الإنجليز والفرنسيون منفردين أو مدعومين من قبل شركاتهم أو حكوماتهم إلى إقامة تحالفات ودية مع الأثيوبيين بغرض الحصول على بعض منتجات الأخيرين وخاصة البن (٢٤) . كذلك أقامت البعثات التنصيرية في نيروبي وغيرها من مناطق شرق إفريقيا العديد من التجارب العلمية لاستزراع البن بكميات تجارية عن طريق تدريب الأهالي في الأرياف على الأساليب العلمية للزراعة (٢٥) . كما أن البريطانيين كانوا قد رعوا زراعة البن في الهند التي أُدخلت إليها زراعته عن طريق أحد التجار الهنود يُدعى بابا بودان حوالي ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م ، فلم يأت عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م إلا وكانت مزارع البن قد انتشرت من أقصى شمال ميسور إلى توتيكورين (٢٦) . كما نقل الانجليز والفرنسيون زراعة البن إلى دول امريكا الجنوبية متمثلة في جامايكا ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م ، كوبا ١١٦٣هـ/ ١٧٤٨م ، جواتيمالا ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م، بورتريكو ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م ، كوستاريكا ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، فانزويلا ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م ، المكسيك ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م ، البرازيل١٢٠٥/ ١٧٩٠ (٢٧).

ثانيًا : القلاقل السياسية التي كانت تحياها اليمن بصفة خاصة ، ومنطقة تجارة البحر الأحمر بصفة عامة ، فمن المعروف أن اليمن في هذه المرحلة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م – ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م كانت محكومة من قبل الأئمة الزيديين ، وكانت الدولة الزيدية في طور الضعف والتفكك ، حيث تعاقب على سدة الحكم العديد من الأئمة الضعاف الذين لم يستطيعوا أن يحافظوا على الدولة قوية متماسكة ، كما كان الحال في عهد

الإمام إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م - ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م ، فقد تدهورت أوضاع البلاد الأمنية الأمر الذي تمخض عنه انفصال عدد من المناطق عن جسد الدولة ؛ فانفصلت عدن ولحج حوالي ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م ، كما مارس الشريف محمد بن أحمد بن خيرات ، أمير المخلاف السليماني ، نوعاً من الاستقلال الذاتي تمثل في تمرده على إرادة الإمام وذلك بدءاً من ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م [٢٨] . وازدادت أحوال الدولة الزيدية سوءاً بعد وفاة الإمام المهدى عباس ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م ، حيث خرجت قبائل بكيل على الإمام القائم بعد إيقافه للمخصصات المالية المخصصة لهم من قبل سلفه ، فعمدت إلى قطع الطرق حول صنعاء . وأغرى ضعف الإمام العديد من القبائل بممارسة السلب والنهب للقرى الآمنة . من ذلك ما قامت به قبائل برط حين نجح القاضي عبد الله بن الحسن الآنسي في إثارتها ضد الإمام ، وذلك بحجة أن ا لإمام أمر بإعدام ابن القاضي عبد الله الذي كان رهينة بقصره [٢٩] . ولم يقتصر الأمر على خروج هذه القبيلة أو تلك على إمام قائم ، بل تعدى الأمر إلى أن ظهر في مبدأ عهد الإمام أحمد بن الحسن ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م - ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م ، وهي الفترة التي أعقبت وفاة الإمام إسماعيل مباشرة ، الشريف ناصر صاحب آنس بمذهبه الخاص القاضي بتحريم القهوة ، حيث قام هذا الشريف ومن تبعه باقتلاع وإتلاف عدد من مزارع البن في المناطق المحيطة بآنس ، واستمر في حركته هذه حتى تمكن الإمام أحمد بن الحسن من القضاء عليه [٣٠] .

ولم يكن أمر الفوضى السياسية قصراً على أوضاع اليمن الداخلية ، بل تعدتها إلى أسباب خارج دائرة اليمن متمثلة في حرب المغول والتي أدت فيما أدت إليه إلى تعطيل التجارة بين سورات والمخا ، بل لعل من آثارها الأكثر وضوحاً بدء انتقال الأهمية التجارية من ميناء المخا إلى ميناء اللحية ، ومن ثم الحديدة فعدن . كذلك ساهمت الحملات البحرية التي دأب قراصنة البحر الأوروبيون على القيام بها على السواحل اليمنية من حين لآخر ، إضافةً إلى ما كانت عليه مصالح الدول الأوروبية الاستراتيجية ، من استعمال لمواقع على الساحل اليمني ، أو حصار لبعض الموانئ إلى غير ذلك من هذه الممارسات - التي سنتحدث عنها لاحقاً - ساهمت هذه جميعاً في

التأثير السلبي على حركة التجارة عموماً وتجارة البن بصفة خاصة . وكان من نتائج هذا التدهور أن أهملت كثير من الشركات الأوروبية وكالاتها بالمخا ، فعلى حين كانت الشركات الكبرى ترسل إلى المخا سفنها التجارية من الحجم الكبير لنقل البن ، أصبحت هذه السفن لا تصل إلا كل سنتين مرة واحدة ، وتدنى معدل ما يصدره الميناء من البن اليمني إلى ما يقارب ١٧٠٠ باله في الموسم*هـ ، وهي كمية قليلة جداً مقارنة بما كان يصدر من نفس الميناء في منتصف القرن السابع عشر الميلادي/ الثاني عشر الهجري(٣١) .

لقد حدت الظروف المعيشية للمزارع اليمني في هذه المرحلة ، - والمترتبة على هذه الأوضاع المضطربه سياسياً - حدت به لأن يبحث عن السُبل الأجدى لتوفير الأمن الغذائي له ولمن يعولهم . إن زراعته للبن تقتضي منه الانتظار قرابة أربع سنوات قبل أن ينعم بثمار هذه النبتة ، مع ما تتطلبه رعايتها من جهد و مال وفيرين . وقد تأتي هذه الثمار بالمال الوفير إن هو استطاع أن يؤمن لها احتياجات الرعاية ، إلا أن المال الذي سيجنيه منها لن يؤمن له احتياجاته الغذائية والكسائية وذلك تبعاً لأوضاع القلاقل والفتن التي كانت تحياها البلاد جراء الحروب المتكررة بين المرشحين للإمامة ، أو بين الإمام القائم ومن يخرج عليه من القبائل دائمة الثورة . وغالباً ما تؤدي هذه الحروب إلى قطع طرق المواصلات بين مناطق إنتاج البن ومراكز تسويقه في بيت الفقيه و المخا أو الحديدة وغيرها ، لذلك دأب الكثيرون من مزارعي البن على تخصيص الغالبية العظمى من أراضيهم الصالحة لزراعة البن لزراعة الذرة والتي يمكن للمزارع ومن يعولهم أن يقتاتوا عليها وقت الأزمات ، علاوة على أن نبتة الذرة ستزوده بثمارها بما يقارب ستة عشر ضعفاً عن ثمار نبتة البن في نفس المرحلة الزمنية ، وقد أدى هذا إلى قلة المطروح من البن في مراكز تسويقه ، الأمر الذي أدى بدوره إلى ارتفاع سعره ارتفاعاً كبيراً قد يصل إلى ما يقارب ١٥٠٪ عن سعره في جزر جاوا وغيرها من مناطق الإنتاج العالمية (٣٢) .

وترتب على هذا الأمر أن أصبحت الموانئ اليمنية تستقبل كميات كبيرة من البن الأجنبي، كذلك الحال مع ميناء جدة بالحجاز والذي كان أحد أهم مراكز توزيع البن اليمني في البحر الأحمر حيث شهدت تجارة هذه السلعة ضموراً كبيراً وذلك بسبب

استيراد الأستانة للبن من جزر الهند الشرقية مباشرة ، بل إن جدة نفسها أصبحت تستورد كميات كبيرة من بن جزر الهند الشرقية وغيرها [٣٣] . لذلك كان من الطبيعي أن تخلو المصادر اليمنية أو كُتب الرحالة الأوروبيين - إلا من إشارات بسيطة - عن تجارة البن اليمني ومردوداتها الاقتصادية على البلاد في هذه المرحلة ، غير أنه يمكننا من هذه الإشارات البسيطة أن نكون صورة تقريبية لآليات هذه التجارة ومردودها الاقتصادي على اليمن بشكل تعميمي ، فلقد كانت ثمار البن تحصد في ثلاثة مواسم مختلفة كان أهمها أو الموسم الرسمي فيها هو الواقع في شهر مايو ، ولعل اختلاف فترات الحصاد جعل بالإمكان توفر ثمار البن طوال العام . وفي وقت الحصاد كانت تُفرّش مفارش تحت شجرة البن ، ثم تُهز الشجرة لتتساقط ثمارها الناضجة ، وبعد ذلك تُعرض هذه الثمار للشمس حتى تجف ، ثم يُمرر فوقها ثقّالة أو مهراس لفصل القشرة عن الثمرة ، وتُنخل الثمرة لتُصفى من الشوائب ، ثم تُجفف مرة أُخرى قبل تخزينها [٣٤] . ثم يُحمل البن على ظهور الجمال إلى مدينة بيت الفقيه ، وكانت هذه المدينة أحد أهم مراكز توزيع البن في اليمن ، وكان سوق هذه المدينة الموسمي غالبا ما يُعقد في شهر مايو، حيث يتجمع التجار من شتى الأنحاء لعقد صفقات البن في اليمن . ومن هذه المدينة كانت تجارة البن تخرج باتجاهات ثلاثة ، إحداها تتجه صوب البصرة ومنها إلى فارس ، والثانية تخرج باتجاه مصر ومنها يغذى كافة الساحل الأفريقي ، أما الثالثة فكانت تسير باتجاه فلسطين وسوريا ومنها إلى الأناضول وأوروبا ، وقد تصل إلى روسيا [٣٥] .

وكان لابد للبن المراد شحنه من ميناء المخا أن يصل إلى هذا الميناء قبل حلول شهر يونيو ، وذلك لأن السفن عادة ما تقلع من هذا الميناء في أوائل هذا الشهر تبعاً لحركة الرياح الموسمية ، ومن الجدير بالذكر أن بيت الفقيه كانت تعوّل كثيراً في عوائدها الاقتصادية على هذه القوافل الثلاث وأن معدل ما يصدر من البن سنوياً في هذه المرحلة لا يتجاوز ٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ بالة ، وقد يزيد هذا المعدل قليلاً إذا كانت سفن الشركات الفرنسية والإنجليزية الكبرى راسية بالميناء وقت عقد السوق . وعلى الرغم من وجود

وكالة فرنسية في بيت الفقيه في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي إلا أن زيارات السفن الفرنسية والإنجليزية لهذا الميناء كانت نادرة جداً حيث إنها لم تكن تزيد عن زيارة واحدة للسفينة كل سنتين. لقد كان البن يُباع في بيت الفقيه بما مقداره ٤٢ بياسترا إسبانية للبالة الواحدة، فإذا علمنا أن البالة كانت تحوي ما يعادل ٣٠٠ رطلاً علمنا أن الحجم الإجمالي لما يُباع يُقدر بحوالي ١٢٠٠٠٠٠ رطلاً، أي ما مقدار قيمته حوالي ١٦٨٠٠٠ دولار اسباني سنوياً (٣٦).

أما على الصعيد التجاري فقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري في بلاد اليمن إنحسار الوجود الهولندي والفرنسي، وأصبح الانجليز متفردين بالسيادة التجارية في هذه المنطقة. فقد عمد البريطانيون منذ ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م إلى محاولات تركيز وجودهم في المخا وغيرها من موانئ اليمن، وذلك بعقد اتفاقات تجارية مع الإمام تتضمن محاولة إيجاد موطئ قدم ثابت لهم بهذه المواني. كما شهدت الفترة ذاتها محاولات التجار المسيحيين الشرقيين إضافة إلى التجار الأوروبيين فتح طريق تجارة البحر الأحمر أمامهم. وقد ساندهم في ذلك بكوات مصر الذين رغبوا في جلب هؤلاء التجار إلى السويس. فقد دعى الأمير علي بك الكبير التجار الأوروبيين في الهند إلى إرسال سفنهم مباشرة إلى السويس مُتجاهلاً السياسة العثمانية القاضية بمنع ذلك، كما عمد محمد بن أبي الذهب ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م إلى توقيع اتفاقية مع مسئولي شركة الهند الشرقية الإنجليزية تقضي بمتاجرة هذه الشركة مباشرة مع السويس. كذلك سعت بيوت التجارة الفرنسية والإنجليزية في الهند جاهدة مع حكوماتها لتحقيق هذا الغرض. ولعل من المفارقات أن تواجه محاولات التجار الإنجليز بالرفض والمعارضة التامة من قبل سفير بريطانيا لدى الباب العالي، حيث إن هذا السفير كان أحد القائمين على شركة الليفانت The Levant Company والتي كان لها حق احتكار تجارة بريطانيا مع الدولة العثمانية في مجال البحر المتوسط والولايات العثمانية المطلة عليه إلا أنه ما أن أهل القرن التاسع عشر الميلادي إلا وكانت تجارة البحر الأحمر مفتوحة تماماً أمام السفن الأوروبية، وخُوِّل القنصل

البريطاني في مصر ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م - وكان وكيلاً لشركة الهند الشرقية الإنجليزية - عقد معاهدة مع باكوات مصر أسوة بما عقده الفرنسيون معهم ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م والقاضية بنقل تجارة الهند إلى السويس على السفن الفرنسية [٣٧] .

ويمكن لنا أن نوجز أهم ما تميزت به المرحلة الثانية فيما يلي :

١) اضمحلال تجارة البن في اليمن تبعاً لتردي الأوضاع السياسية في اليمن والبحر الأحمر .

٢) تفرّد شركة الهند الشرقية البريطانية بالنفوذ في المنطقة بعد انسحاب شركة الهند الشرقية الهولندية ومحدودية نشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية .

٣) انصراف كثير من مزارعي البن عن زراعته إلى زراعة الذرة لتوفير الغذاء اللازم لأسرهم تبعاً لكساد سوق البن .

٤) الندرة في البن اليمني أدى إلى ارتفاع أسعاره لدرجة قد تصل إلى ما يقارب ١٥٠٪ عن سعر البن المنتج في جزر الهند الشرقية .

٥) أصبحت الموانئ اليمنية سوقا جيدة للبن الحبشي و بن ساحل المليبار .

٦) انهاء الحظر العثماني على التجار الأوروبيين والمسيحيين بصفة عامة التغلغل إلى الشمال من جدة داخل البحر الأحمر .

المرحلة الثالثة : (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م إلى ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) :

لقد شهدت هذه المرحلة الزمنية العديد من المتغيرات السياسية التي كانت لها آثارها الواضحة على الحياة العامة في اليمن وبالتالي على تجارة البن اليمني ، من هذه المتغيرات تزايد الهيمنة البريطانية على الساحة اليمنية ، فقد سعى البريطانيون بعد أحداث ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦م والمتمثلة في سيطرة الشريف حمود بن محمد آل خيرات باسم السعوديين على معظم مناطق تهامة ، بما في ذلك مدينة المخا ، وسعى هذا الشريف إلى اتخاذ ميناء اللحية كمعبر أساسي لتجارة البن اليمني بدلاً من المخا ، علاوة

على تشوش علاقاتهم بإمام اليمن في فترة لاحقة - سعى البريطانيون من جهتهم إلى اتخاذ موطئ قدم في اليمن بدلاً عن المخا - يكون أكثر أمناً ، وأكثر قدرة على تحقيق متطلباتهم التجارية ، السياسية والإستراتيجية . وبعد دراسات ومسح للساحل اليمني ، توصل القائمون على شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، إلى أن عدن هي البديل الأنسب لتركيز الجهود البريطانية فيها (٣٨) .

ولم تكن التجارة هي الدافع الوحيد الذي دفع البريطانيين إلى التفكير في هذا الاتجاه ، وإنما كانت هناك دوافع استراتيجية وسياسية أكثر إلحاحاً لاستعمار البريطانيين عدن ، فإن الفرنسيين المتنفذين في مصر وشرق إفريقيا كانوا يشكلون خطراً كبيراً على الحكم البريطاني في الهند ، سواء كان ذلك عن طريق الغزو المباشر أو عن طريق إثارة الفتن والقلاقل في شبه القارة الهندية ضدهم ، الأمر الذي كان يضطرهم في محصلة الأمر إلى الاعتماد على الجيش البريطاني ونقله من مكان إلى آخر ، لإخماد هذه الفتن ، مع ما في هذا الإجراء من إرهاق اقتصادي على البريطانيين في الهند (٣٩) . كذلك الحال مع روسيا التي كانت مصالحها الأوروبية تتعارض مع المصالح البريطانية بشكل دائم ، الأمر الذي كان يدفع الروس إلى العمل على مضايقة الإنجليز في الهند . فمن المعروف أن تطور طرق المواصلات ، وتطور الاتصالات الدولية ، إضافةً إلى النمو السريع في عدد سكان دول أوروبا وما ترتب عليه من زيادة في الاحتياجات التجارية ، قد جعل الهند محوراً ساخناً للسياسة الأوروبية في القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري (٤٠) .

ولعل المغامرة الجريئة التي قام بها محمد عليّ باشا في الفترة (١٢٤٨-١٢٥٦هـ ١٨٣٢/ -١٨٤٠م) والتي تمخضت عن محاولة السيطرة على سواحل اليمن ، قد أدت إلى سرعة اتخاذ البريطانيين قرار استعمار عدن . فلقد تعالت نداءات بعض المسئولين البريطانيين إلى الشركة بضرورة السيطرة على عدن قبل أن تقع تحت حكم محمد على (٤١) . فبسيطرة محمد علي على عدن والسويس علاوة على تحالفه مع فرنسا سيشكل هذا الأمر خطراً أكيداً على المصالح البريطانية في المنطقة . ومع إطلالة عهد السفن البخارية

في العقد الأول من القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري ، كان على البريطانيين اتخاذ محطة لتزويد السفن بالفحم ، وبتوسط موقع عدن بين السويس والهند كانت هي الأكثر ملاءمة لذلك . كما ارتأى البريطانيون أنه بعد إدخال بعض التعديلات على هذا الميناء يمكن له أن يصبح مركزاً تجارياً عالميا في المنطقة ، ففتحت إدارة جيدة يمكن لهذا الميناء أن يصبح الميناء الأساسي لتصدير المنتجات اليمنية وعلى رأسها البن ، اللبان ، البهارات ، كذلك استيراد المنتجات البريطانية والهندية وتوزيعها في بلاد اليمن عبره وكذا الحال في تجارة إفريقيا وغيرها (٤٢) . يُضاف إلى هذه المغريات جميعها من وجهة النظر البريطانية أن السفن القادمة إلى هذا الميناء تستطيع الدخول إليه ليلاً أو نهاراً وتفريغ حمولتها في جميع مواسم السنة بأمان كامل .

استغل البريطانيون حادثة السفينة الهندية داريا دولت (Daria Dawlut) ، التي تعرضت للنهب من قبل بعض القبائل ، بعد أن جنحت إلى ساحل عدن في يناير ١٨٣٧م / ١٢٥٣هـ وكمحصلة نهائية لهذه الحادثة تمت سيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على عدن ، واستعمرتها استعماراً مباشراً (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) (٤٣) .

لقد عمد محمد علي بعد إذعانه لقرارات مؤتمر لندن (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) إلى تسليم منطقة تهامة إلى شريف أبو عريش الحسين بن على بن حيدر ليحكمها نيابة عن العثمانيين . وقد عمل هذا الأخير إلى مد سلطانه على حساب الحكام المحليين وعلى رأسهم إمام اليمن حتى شملت ممتلكاته معظم مناطق تهامة وعسير . وقد انتهج هذا الحاكم سياسة عدائية في مناطقه ضد البريطانيين ، غير أن حكمه لم يستمر طويلاً ، إذ انه أرسل إلى العثمانيين (١٢٦٦هـ - ١٨٤٩م) يطلب منهم إرسال مندوب منهم لتسلم البلاد عنه . وأرسل العثمانيون حملتهم إلى سواحل اليمن ليعود بذلك حكمهم إلى هذه السواحل . واتخذ العثمانيون من الحديدة مقراً لمتصرفيتهم وسعوا جاهدين في جعل هذا الميناء ميناء اليمن الأساسي . وفي عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م . شرع العثمانيون في استعادة كافة بلاد اليمن ونجحوا في ذلك ، وتقاسم العثمانيون والبريطانيون مع من حالفهم من حكام محليين حكم بلاد اليمن مع بقاء الأئمة الزيديين في صراع دائم مع

العثمانيين أولاً ، ومن ثم البريطانـيين لحفظ مكتسباتهم في هذه البلاد (٤٤) .

لقد أدى استعمار بريطانيا لعدن الى تحول هذا الميناء لمركز تجاري عالمي تحولت إليه تبعاً لذلك معظم تجارة اليمن (٤٥) . وهذا يعني أن الموانئ اليمنية قد فقدت كثيراً من حيويتها التجارية على الرغم من أن موانئ المخا ، اللحية والحديدة شهدت نشاطاً تجارياً نسبياً خاصة فيما يتعلق بتصدير البن . فعن ميناء المخا كانت تخرج السفن الشراعية الصغيرة مرة كل موسم محملة بالبن إلى كل من بمباي ، كلكتا ، وموانئ الخليج العربي في الفترة الممتدة من منتصف أغسطس إلى منتصف سبتمبر . وعن ميناء الحديدة كانت تخرج بعض السفن المحملة للبن إلى الحجاز ومصر ، وإن كان هذا النشاط قد تحول أكثر فأكثر لصالح ميناء عدن بعد افتتاح قناة السويس (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م) فأخذت السفن الشراعية الصغيرة تنقل البن بين هذين الميناءين (الحديدة - المخا) وميناء عدن (٤٦) . ومن المعروف أن قوافل الجمال كانت تنقل البن من مناطق إنتاجه إلى هذه الموانئ وغيرها من مناطق تسويق البن . وقد توزعت مناطق إنتاج البن على مناطق متناثرة من بلاد اليمن . ويمكن حصر أهم هذه المناطق فيما يلي : المناطق الجبلية الواقعة بين تعز وإب ، وبين إب ويريم وبين يريم وصنعاء ، كما جاءت مناطق الزراعة أيضاً على طرق القوافل من تعز إلى صنعاء وبين زبيد وإب على الطريق من تعز إلى زبيد، وبين حجلة ومناخة على الطريق من الحديدة إلى صنعاء . إضافةً إلى سلسلة الجبال الممتدة إلى الشمال والجنوب على الطريق من بيت الفقيه وعبال ، وبين مناخة ومتحان إلى الشمال من باجل (٤٧) . وكانت هذه القوافل تصل إلى الحديدة أو المخا أو عدن في جميع مواسم السنة تقريباً - خاصة في شهور نوفمبر ، مارس ، أبريل - وكما ذكر في المرحلتين السابقتين كانت عمليات شراء البن من مزارعيه تتم عن طريق شبكة من الوكلاء والوسطاء ، حيث كان هؤلاء الوسطاء - وهم غالباً من العرب - يقايضون السلع الأوروبية والأمريكية بالبن ، ومن ثم يُرسل البن إلى الوكلاء في المدن الرئيسية : الحديدة ، المخا ، عدن وبيت الفقيه ، ومنها إلى مخازن التجار في الحديدة أو عدن . ولا توجد لدينا معلومات دقيقة حول حقيقة التعامل المالي بين التاجر ووكيله ،

أو تفصيل العلاقة الثنائية بينهما ، غير أننا نستطيع من المعلومات المتاحة أن نرسم صورة تقريبية لحقيقة هذه العلاقة التي يمكن أن تكون أقرب إلى الشراكة منها للوكالة ، فالوكيل يقدم خدماته للتاجر في مكان إقامة الأول مقابل أن يقوم الآخر بتقديم الخدمة ذاتها للوكيل ، بمعنى آخر أن العلاقة هي في حقيقتها علاقة بين تاجرين في منطقتين مختلفتين كل منهما وكيل للآخر في مكان إقامته . ولربما انبثقت هذه العلاقة في مبدئها عن معرفة شخصية أو قرابة أو نحو ذلك كعلاقة السادة بمملوكيهم . وكان الوكيل - عدا عمليات البيع والشراء - يحرص على تزويد التاجر بكل ما يتصل بتجارته من شئون وشجون . وقد يتخذ التاجر أكثر من وكيل في منطقة واحدة ، وقد يكون هناك وكيل واحد لأكثر من تاجر في نفس المنطقة . ولا توجد لدينا أيضاً معلومات دقيقة عن آلية التعامل المالي بين التاجر ووكيله ، أو بين الوكيل ووسطائه ، لكن في الغالب الأعم كانت العمليات التجارية مبنية على الثقة المتبادلة ، وعادة ما تكون كلمة الشرف هي الفيصل [٤٨] .

وقد شكل التجار الحضارمة نسبة كبيرة من التجار العرب القائمين على تجارة البن في الحديدة ، يليهم في الأهمية والعدد التجار الهنود والبانيان ، وقد أدى الإقبال المتزايد على البن اليمني من قبل المستهلك الأمريكي والأوروبي إلى أن تسعى كبرى بيوت القهوة التجارية في تلك البلدان إلى افتتاح فروع لمؤسساتها في كل من عدن والحديدة ، فظهرت من هذه المؤسسات في الحديدة من ثلاث إلى أربع مؤسسات هندية بريطانية ، إضافة إلى واحدة أمريكية وأخرى فرنسية ، وقد صدّرت هذه الأخيرة إلى فرنسا ما يقدر حجمه بـ(١٠,٠٠٠) سنتنر أي ما يعادل ١,١٠٠,٠٠٠ رطل إنجليزي حوالي عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م [٤٩] . وقد تزايدت هذه المؤسسات في عدن خاصةً بعد افتتاح قناة السويس حيث عمدت هذه المؤسسات إلى فرز البن اليمني وإرساله إلى موانئ بوسطن ونيويورك وغيرها من مدن الساحل الشرقي الأمريكي [٥٠] .

وتفيدنا تقارير القناصل الأوروبيين في عدن والحديدة أن دور الجمارك في الموانئ اليمنية كانت تستقبل البن الوارد إلى هذه الموانئ ، فيُخزن البن في هذه الدور إلى أن تجرى معاينته من قبل حاكم المدينة ، وفرض الضريبة التي تُقدر بـ ٧٪ ومن ثم عرضه

للتداول . وكانت عمليات البيع والشراء تتم في الغالب في دور الجمارك ومنها ينقل التاجر بضاعته لتُخزن في مخازنه الخاصة حيث يتم تنقية البن مما علق به من شوائب وأحجار ونحوه (٥١) .

وتختلف أسعار البن اليمني باختلاف مناطق إنتاجه ، فالبن المحتاري - نسبة إلى بلاد بني محتار الواقعة في الجنوب من صنعاء - يقف عالياً من حيث الجودة من بين الأنواع الأخرى ، وقد يصل سعره حوالي خمسة دولارات أمريكية للمُند الواحد ، علما بأن المُند يُعادل ٢٨,٨٢ رطلاً إنجليزيًا ، يليه في الجودة البن اليافعي حيث يبلغ سعر المُند حوالي ٤,٢٥ - ٤,٥٥ دولار وقد تصل أسعار بعض أنواع البن اليمني الأقل جودة كالتي تنتشر في تهامة إلى حوالي ٢,٩٥ - ٣ دولار للمُند الواحد . ويرى بعض العاملين بتجارة البن ، أن جودة البن اليمني المزروع في المناطق الجبلية تكاد تكون واحدة' وإنما الذي يميز نوعاً عن الآخر كون أحدهما يلقى العناية الفائقة بينما الظروف الاقتصادية في المناطق الأخرى تحول دون ذلك . فجودة البن المحتاري إنما جاءت لأن مُلاك المزارع في هذه المنطقة هم من كبار الأثرياء ويستطيعون الإبقاء على ثمار البن دون قطفها حتى تنضج تماماً ، ومن ثم تُخزن لعدة أشهر لتجف تماماً بعد ذلك تُعرض في الأسواق . وهذا في رأيهم هو العامل الحاسم في حفاظ ثمار هذه المناطق على لونها الأصفر النقي وجودتها (٥٢) . وعادة ما يتحصل مزارع البن على ٣٧,٥٪ من قيمته وما تبقى ٦٢,٥٪ تُوزع بين ضرائب الحكومة وتكلفة التعبئة والنقل ، وعمولة الوسيط والمشترى الأول (٥٣) .

وتتعدد وحدات الوزن المتعامل بها في بلاد اليمن لتجارة البن . فهناك ما يُعرف بالفراسلة التي تختلف أوزانها باختلاف المناطق المستعملة فيها . فالفراسلة الحُديدية - نسبة إلى الحديدة - تعادل (٣٢) رطلاً إنجليزيا بينما كانت فراسلة بربرة تُعادل (٣٥) رطلاً إنجليزي . كما عُرفت بلاد اليمن وحدة الوزن المعروفة بالبخاري وتعادل بالة البخاري (٢٩٠) أقة بوحدة الوزن المصري ، أي ما يعادل (٣٤٠) كجم (٥٤) . كما عرفت أسواق المخا ، الحديدة وبيت الفقية أنواعاً متعددة من العملات النقدية ، هندية

كانت أو أوروبية ، فقد كان التداول قائماً بـ (German Crown) ، والدولار الإسباني ، إضافة إلى العملات النمساوية المعروفة بـ (Ventron Sequins) ، وكان الدبلوون الإسباني (Spanish doubloons) من عملات الذهب المعمول بها ، كذلك الدولار النمساوي (Thalaris) ، وقطع الذهب برسم ماريا تريزا ، إضافةً إلى عملات النقود الصغيرة مثل بياسترز ونصف البياسترز (Piasters & half piasters) ، إضافةً إلى الروبية الهندسية كوماسي (Commassee) وتختلف قيمة هذه العملات من حين لآخر . وقد يتم الشراء في بعض الأحيان عن طريق سندات تُدفع لاحقاً عند تسليم البضاعة (٥٥) .

وتشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن حجم الإنتاج المصدر من البن اليمني قد أخذ في الإنخفاض التدريجي كلما اقتربنا من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري . فعلى حين كان الإنتاج قد بلغ حوالي ٤٩,٢٠٠,٠٠٠ رطل ا نجليزي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادى/ الثالث عشر الهجري ، تناقص حتى بلغ ما يقرب من ٢٢,٤٠٠,٠٠٠ رطل إنجليزي في منتصف القرن ، ثم وصل إلى حوالي ١١,٠٠٠,٠٠٠ رطل إنجليزي عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م(٥٦) . ومن الجدير ذكره أن الكميات المشار إليها لا تمثل حقيقة ما كان يُنتج في اليمن من بن إذ تشير بعض الدراسات المتعلقة بالبن اليمني إلى أن حجم الإنتاج اليمني من البن ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م كان قد قُدّر بحوالي ٢٣,٧٦٠,٠٠٠ رطل إنجليزي(٥٧) . ويصعب تحديد حجم ما كان يُنتج من بن اليمن تحديداً دقيقاً . إذ إن الظروف السياسية المضطربة التي كانت تحياها البلاد جعلت من الصعب الحصول على وثائق مكتوبة توضح حقيقة عوائد تجارة البن في الموانئ اليمنية خاصة في مطلع القرن إن هي وجدت . كما يصعب تحديد حجم البن اليمني المصدر من مراكز بيع البن كبيت الفقيه وغيرها إلى مصر ، فارس ، فلسطين وغيرها من المناطق بحكم أن بعض وكلاء التجار وبخاصة المصريين ، كانوا يشترون البن وهو لا يزال على شجره مباشرة من مناطق إنتاجه الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان حصر كمية البن المباع (٥٨) . ويُضاف إلى هذا ما كان يُستهلك محلياً ، وإن كان اليمنيون يستهلكون من القشر أكثر مما يستهلكون من ثمار البن (٥٩) . ولعل مما يزيد من صعوبة

حصر كميات البن اليمني المصدر أن كميات من هذا البن كانت غالبا ما تهرّب إلى خارج البلاد بعيداً عن ما كان تفرضه الحكومات القائمة من ضرائب باهظة [٦٠] .

وقد استعادت تجارة البن اليمني بعضاً من مكانتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري، وذلك تبعاً لظهور التجار الأمريكيين على الساحة اليمنية ، و اهتمامهم الكبير بتجارة البن اليمني ، فقد شرع هؤلاء التجار بعد حروب الاستقلال في نقل كميات كبيرة من موانئ المخا ، الحديدة وعدن من البن اليمني فائق الجودة . وعزز من مواقف هؤلاء التجار في المنطقة الاتفاقية التجارية التي عُقدت بين سلطان عمان وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[٦١] .

واعتُبرت السنوات ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م - ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م سنوات ازدهار النشاط البحري الأمريكي . فخلال هذه العقود الأربعة حملت السفن الأمريكية من شتى أنحاء العالم بما في ذلك اليمن ما يقرب من ٩٠٪ من صادرات أو واردات البلاد [٦٢] . وإن كانت تجارة الولايات المتحدة مع اليمن قد تأثرت لبعض الوقت نتيجة لتأثر تجارتهم في الشرق بصفة عامة جراء الحروب النابليونية ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م - ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م ، علاوة على الصراع الإنجليزي الأمريكي ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م - ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م [٦٣] . لقد أخذت السفن الأمريكية القادمة من ميناء سيلم (Salem) أو من بلتيمور أو غيرها من موانئ الساحل الشرقي تزور المواني اليمنية بانتظام بَدءاً من ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وذلك بعد أن صرح إمام اليمن للتجار الأمريكيين بحق التجارة على هذه الموانئ . و اتخذ هؤلاء مثلهم مثل غيرهم من التجار الوافدين إلى السواحل اليمنية ، وكلاء من العرب والبانيان المقيمين بالبلاد لرعاية مصالحهم التجارية ، وذلك بعد موافقة الإمام على ذلك [٦٤] .

لقد فُرض على التجارة الأمريكية ضرائب تُقدر بـ ٧٪ ، وهي نسبة تزيد عما كان مقرراً على التجار الأوروبيين ، الأمر الذي دفع حكومات الموانئ اليمنية الى أن ترحب كثيراً بالتعامل مع هؤلاء التجار ، كما دفع الإقبال الشديد من المستهلك الأمريكي على

البن اليمني هؤلاء التجار على الإقبال على شراء الكميات الكبيرة من هذا البن ونقله إلى بلادهم إلى الحد الذي أدى إلى وجود ما يقرب من أحدى عشرة سفينة أمريكية من الحجم الكبير في وقت واحد في ميناء المخا [٦٥] . وإتخذ الأمريكيون مقراً ثابتاً لهم في المخا تمهيداً لإنشاء وكالة تجارية أسوة بالتجار الأوروبيين [٦٦] .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من رواج تجارة الأمريكيين على السواحل اليمنية، وإقبال هؤلاء التجار المتزايد على نقل البن إلى بلادهم ، إلا أن الحكومة الأمريكية لم تهتم كثيراً بعقد اتفاقية تجارية مع إمام اليمن أسوة بتلك التي تم عقدها مع سلطان مسقط وعمان ، أو كالتي كان الفرنسيون والبريطانيون حريصين دوماً على عقدها مع الحكومات المحلية ، وقد يكون ضعف سيطرة أئمة اليمن على البلاد ، وبالتالي تردي الأوضاع السياسية في اليمن منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري، وازدياد نفوذ العثمانيين والبريطانيين قد دفع الحكومة الأمريكية إلى الاكتفاء بما عُقد مع سلطان عمان ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م من اتفاقية تمخض عنها إنشاء قنصلية أمريكية في زنجبار ترعى شئون التجارة الأمريكية في المنطقة . ومن المعروف أنه على الرغم من التنافس الشديد بين التجار البريطانيين والأمريكيين في شرق أفريقيا ، إلا أن البريطانيين نظروا إلى تزايد النشاط الأمريكي التجاري على أنه نشاط خال من الأغراض السياسية ، وأن وجود التجار الأمريكيين في نهاية المطاف يخدم مصلحة بريطانية استراتيجية تتمثل في مواجهة النشاط الفرنسي المتزايد في المنطقة .

لقد ساعدت اتفاقية ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م التجار الأمريكيين على نشر منتجاتهم في زنجبار وشرق افريقيا واليمن . فكان القماش القطني الأمريكي هو الأشد طلباً في المنطقة في المقابل توسع هؤلاء التجار ، كما ذكرنا سابقاً ، في نقل كميات كبيرة من البن ، الجلود المدبوغة وغير المدبوغة واللبان حتى انهم نقلوا معظم البن المطروح في الأسواق اليمنية في عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م [٦٧] .

وقد أدى الإقبال المتزايد من التجار الأمريكيين على شراء البن اليمني إلى ارتفاع

سعر هذه السلعة وذلك لمحدودية الإنتاج ، فوصل سعر بالة البن اليمني النقي إلى ما يقرب من خمسين دولاراً أمريكياً للبالة الواحدة ، وعلى الرغم من ذلك انتظمت أو أصبحت هذه التجارة شبة منتظمة بين السواحل الأمريكية واليمنية حتى إن هؤلاء التجار كانوا ينقلون ما نسبته ٢٠٪ - ٣٠٪ من إنتاج اليمن من البن [٦٨] . وللدلالة على سعة نشاط التجار الأمريكيين في نقل البن تجدر الإشارة إلى أنه حتى ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م كان البن اليمني المُصدّر إلى أوروباً بحراً لا يُنقل إلا بواسطة السفن الأمريكية [٦٩] .

لقد كانت القنصلية الأمريكية في الحديدة ترعى شئون التجارة الأمريكية على السواحل اليمنية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً ، إلا أنه بتزايد أهمية عدن التجارية - بعد افتتاح قناة السويس - أخذت الأهمية التجارية تنسحب تدريجياً باتجاه عدن . وأخذت أهمية الحديدة التجارية تتضاءل حتى غدت القنصلية الأمريكية في الحديدة - على الرغم من اعتبارها السياسي المنفصل عن القنصلية الأمريكية في عدن - تتلقى التعليمات من القنصلية الأمريكية في عدن في جميع القضايا التي تهم التجارة الأمريكية والتي قد تحدث في الحديدة ، وليست هناك مؤسسات تجارية أمريكية لها وكالات في الحديدة إلا وكانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعدن ، إذ إن تجارة الحديدة إلى الخارج أخذت تعتمد إعتمادا وثيقاً على عدن - كما ذكرنا سابقاً - ولم تكن الحديدة تتاجر مباشرة مع الموانئ الأمريكية من حيث تصديرها للبن بل إن وارداتها من الولايات المتحدة الأمريكية والمتمثلة في الحبوب ، ريش النعام والقطن وغيره كان ما يقدر بحوالي ٦٠٪ منه يأتي عن طريق عدن وما تبقى عن طريق الحديدة نفسها . ولعل ما كانت تتمتع به عدن من وسائل اتصالات (البريد وغيرها) إضافة إلى القدرات العملية والعلمية لإدارة ميناء عدن تحت الحكم البريطاني قد حول الأنظار تماماً عن الموانئ اليمنية الأخرى في نظر التجار الأوروبيين ، إلا بالقدر الذي يحقق مصالحهم [٧٠] .

ومن المعروف أن السمعة العالية للبن اليمني جعلت كُبرى الشركات الأمريكية والأوروبية تتسابق لتصدير هذا البن فائق الجودة إلى بلادها ، وقد حدث ندرة البن

اليمني وغلاء أسعاره ببعض تجار البن سواء كانوا من الأوروبيين ، الأمريكيين أو العرب إلى خلط أنواع البن اليمني مع بعض الأنواع الأقل جودة والتي وجدت طريقها إلى الأسواق اليمنية بما في ذلك سوق عدن . وقد صُدرت كميات كبيرة من البن من ميناء عدن إلى الولايات المتحدة الأمريكية على أنه بن المَخا وهو في واقع الحال إما أن يكون بنا مخلوطاً بقليل من بن اليمن (المخا) أو أنه برمته بن لا يمت إلى المخا بصلة على الإطلاق . وقد أدى هذا التأثير سلباً على حجم تجارة البن اليمني المُصدّر من عدن إلى موانئ الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص ، فقد تناقص حجم ما كان يستورده تجار البن اليمني الأمريكيون عبر مجموعة كاراكندا وهي إحدى المؤسسات المتعاملة بتصدير البن اليمني (Caracanda) من ٢٩,٥٤٥ عبوة عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م إلى ١٢,٤٥٣ عبوة عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م (٧١) . ولعل الحملة الشعواء التي شنتها الصحافة الأمريكية كان لها الأثر الكبير في هذا ا لانخفاض ، وذلك بعد التصريح الذي ألقاه أحد أعضاء الكونجرس في حفل عام من أن البن المصدر إلى الولايات المتحدة على أنه بن يمني نقي غالي الثمن ما هو إلا بن مخلوط أو بن برازيلي أُعيد تصديره من ميناء عدن إلى نيويورك ، وقد دفع هذا الأمر مجموعة تجار البن اليمني الأَمريكيين ممثلين في رئيس ا تحاد كاركندا (Caracanda Bros.) إلى رفع خطاب إلى الحاكم البريطاني بعدن في ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م ، لنفي ما ورد على لسان السياسي الأمريكي حرصاً على استعادة ثقة المشتري الأمريكي وحمايةً لسمعة تجارة البن اليمني (٧٢) . وقد ترتب على هذا الخطاب قيام العديد من المراسلات بين حاكم عدن وهيئة التجارة بعدن تمخضت في نهاية المطاف عن إفادة الهيئة أن مثل هذا الإدعاء عار عن الصحة وأن القنصل الأمريكي في عدن أرسل إلى واشنطن ما يفيد بذلك وأن معلومات عضو الكونجرس الأمريكية خاطئة تماماً (٧٣) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا التأكيد من قبل هيئة التجارة بعدن لم يكن دقيقاً وأميناً في عرضه لحقيقة ما يُحتمل تصديره إلى الموانئ الأمريكية والأوروبية على أنه بن يمني نقي . وباستعراضنا للمراسلات التي كانت قائمة بين هيئة التجارة بعدن (The

Chamber of Commerce) وبين حاكم عدن أو حكومة الهند [٧٤] نجد أن مسألة خلط البن اليمني مع أنواع البن الأقل جودة كان أمراً واقعاً ، وأن دعوة عضو الكونجرس وحملة الصحافة الأمريكية لم تكن عارية تماماً عن الصحة . فعلى الرغم من الإجراءات التي كانت قد ا تخذتها هيئة التجارة بعدن لضمان عدم تسرب الأنواع الرديئة من البن إلى أسواق عدن ومن ثم خلطها بالبن اليمني ، فقد ظهرت في أسواق عدن كميات من البن اليمني المخلوط ببن ساحل المليبار رديء المستوى . وقد أُرجع الأمر في حينه إلى عدم كفاية الإجراءات في الميناء ، ومن المعروف أن هيئة التجارة بعدن كانت قد طالبت حكومة عدن عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ بضرورة حماية البن اليمني والهرري وذلك بمنع الأنواع الأخرى الرديئة من البن الوصول إلى ميناء عدن ومن ثم إلى أسواقها ، كما طالبت بإصدار عقوبة في حق كل من يتاجر بهذه النوعية من البن ، غير أن هذين الطلبين رفضا من قبل كل من حكومة الهند وحكومة عدن على أساس أن ميناء عدن يُنظر إليه على أنه ميناء حر (Free Port) ، ولا يمكن مع هذا ممارسة هذا النوع من المنع ، كما رُفض قرار إمكانية إصدار عقوبة في حق التجار المتعاملين بتجارة البن الأقل جودة لنفس الاعتبار[٧٥]. عوضًا عن ذلك ؛ ارتأت حكومة عدن ضرورة بقاء هذه الأنواع من البن في الميناء في مستودعات خاصة بالتجار ولا يُسمح لها بالنزول إلى أسواق عدن حيث إنها بضائع وردت إلى الميناء لإعادة تصديرها من عدن بمسماها وليس لاستهلاكها في المدينة . ويلقي لنا تقرير المشرف على مستودعات الميناء بعدن الكثير من الأضواء على عدم كفاية الإجراءات المُتخذة للحيلولة دون خلط البن اليمني . فقد أفاد التقرير أن البن الوارد من ساحل المليبار وهو رديء النوعية يُصدّر أولاً إلى مصوع ومن هناك يُعاد تصديره إلى عدن على أنه بن هرري عالي الجودة ، ومن المعروف أن البن الهرري لا يقل في جودته عن البن اليمني ولا يلقى إجراءات الفحص التي تلقاها الأنواع الأخرى . فيجد بن ساحل المليبار طريقه إلى أسواق عدن وهناك تتم عمليات الخلط . يُضاف إلى ذلك أن البن الوارد إلى ميناء عدن – عدا البن الهرري أو اليمني – عادة ما يحول حال نزوله من السفن في مستودعات خاصة بالتجار في الميناء

تحت إشراف اسمي من قبل هيئة الميناء ، وتحفظ مفاتيح هذه المخازن لدى المشرف على مستودعات الميناء ، ولا يُسمح للتاجر بإخراج أي من هذه البضائع إلا بإشراف هيئة الميناء . وحيث ان من السهولة استصدار مفاتيح مماثلة لهذه المستودعات ، وحيث إن الإشراف كان إشرافاً ضعيفاً ، فقد كان بمقدور التجار نقل بضائعهم من المستودعات في الأوقات المناسبة لهم وتسريبها إلى المدينة حيث يتم خلطها مع البن اليمني (٧٦) ، ومن المعروف أن عمليات خلط البن هذه كانت تتم أيضاً في المخا أو الحديدة أو اللحية قبل تصدير هذا البن إلى عدن – كما اشرنا سابقاً . كما أن بن المخا كان غالباً ما يُصدّر إلى عدن بحالته البدائية ، أي بنًا خامًا مليئًا بالشوائب ، وفي عدن يتم تنظيفه وفرزه من قبل التجار قبل إعادة تصديره ، ولا يخفى أنه مع توفر أنواع البن الأخرى في عدن يمكن أن تتم عملية الخلط قبل إعادة التصدير من قبل بعض تجار المدينة الذين لا يخضعون لسيطرة هيئة التجارة بعدن (٧٧).

نتائج البحث

مما سبق يتضح لنا أن هناك العديد من المتغيرات السياسية واكبت تجارة البن اليمني ، فلم يمض وقت طويل على ازدهار هذه التجارة ، حتى دخلت بلاد اليمن تحت الحكم العثماني ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م – ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م . ورعى العثمانيون هذه التجارة حق رعايتها فازدهر ميناء المخا في العهد العثماني ازدهاراً كبيراً ، ونعم الولاة العثمانيون في اليمن بدخول هذه التجارة إلا أن فساد سياسة أغلب هؤلاء الولاة دفع اليمنيين للثورة فتحولت بلاد اليمن إلى مسرح للحروب الطاحنة بين العثمانيين والزيديين ، وتبعاً لذلك تأثرت هذه التجارة سلباً بهذه الحروب فانصرف أغلب المزارعين عن زراعة البن إلى زراعة الذرة سعياً وراء الحاجة لتأمين الغذاء اللازم في فترات الحروب ، وتبع ذلك قلة المطروح من البن على الرغم من ازدياد الطلب عليه مما أدى إلى ارتفاع أسعاره ، ودفع هذا كثيراً من الشركات التجارية الأوروبية إلى قفل وكالاتها مؤقتاً في ميناء المخا .

وعندما حكم الزيديون البلاد استمرت بلاد اليمن تعيش دوامة الحروب الأهلية

الطاحنة جراء صراع الأئمة في سبيل الإمامة ، أو لتوسيع ممتلكات إمام على حساب أئمة آخرين . ولعل في نظام الإمامة ما دفع البلاد للمضي في حالة الحروب الدائمة ، الأمر الذي انعكس على تجارة البن انعكاساً سلبياً . ولقد زاد الأمر سوءاً بعد وفاة الإمام إسماعيل بن القاسم ، حيث تعاقب على الحكم - كما ذكرنا سابقاً - أئمة كانوا في مجملهم ضعافاً عجزوا عن حماية البلاد ، فكثر الخارجون من أبناء القبائل وغيرهم على السلطة الحاكمة ودخلت البلاد في حالة فوضى سياسية تمخضت في نهاية المطاف عن تفسُّخ أجزاء الدولة ودخول بعض من جهاتها تحت حوزة الأجنبي . فهذه بريطانيا تحكم عدن ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ، وهذا محمد عليّ باشا أغرته فوضى البلاد في أن يركز حكمه في السواحل ، يدفعه إلى ذلك على الأرجح الرغبة في احتكار تجارة البن ، وهذه الدولة العثمانية تعود مجدداً إلى اليمن ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م لتعلن سيطرتها الاسمية على السواحل ، ومن ثم تعود ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م لتفرض سلطاتها المباشرة على كافة البلاد .

لقد نمت الحديدة تبعاً لرعاية العثمانيين لها في المرحلة الثانية نمواً كبيراً ، وذلك على حساب ميناء المخا ، الذي أضر به انحسار التجارة اليمنية وزوال الحكم العثماني الأول، إلا أن هذا النمو لم يُكتب له الاستمرار ، إذ سرعان ما حول البريطانيون عدن إلى مركز تجاري عالمي أثر ليس على نمو الحديدة فقط ، بل على سائر موانئ المنطقة . وكان لهذا النمو المّطرد لعدن آثاره السلبية على البنية الاقتصادية لليمن .

ومن الجدير بالذكر أن التركيبة السياسية على الساحة اليمنية في الفترة ١٨٣٩هـ - ١٩١٤م ، كان لها آثارها الإيجابية والسلبية على تجارة البن وعلى الاقتصاد اليمني ، فالبلاد كانت مُقسمة بين عثمانيين يسيطرون على معظم أرجاء البلاد بما في ذلك الحديدة واللحية والمخا ، وأئمة زيديين ثائرين على الحكم العثماني ، وتقع ضمن نطاق حكمهم كثير من مناطق إنتاج البن ، أو هي مناطق تتراوح السيطرة عليها بينهم وبين العثمانيين والبريطانيين الذين يحكمون في عدن ويهيمنون سياسياً على المناطق الغربية منها والمحيطة بها . وكان لابد لهذه التركيبة السياسية المُعقدة من أن تؤثر تأثيراً سلبياً

على تجارة البن ، لذلك شهد إنتاج البن في اليمن انخفاضًا كبيراً عجزت السلطات القائمة عن معالجته نتيجة لهذه الأوضاع المعقدة . ولعل هذا الأمر يُفسر لنا حقيقة عدم قيام صناعة للبن في هذه البلاد على الرغم من أنها الموطن الأم للبن وتجارته . وهذا نفسه يُفسر لنا ، لماذا لم يهتم البريطانيون بإقامة مزارع كبرى حديثة للبن . كما أن دخول وعوائد هذه التجارة كانت مقسمة بين ولاة عثمانيين جل همهم الاهتمام بمصالحهم الخاصة دونما نظر إلى مصالح الدولة العليا أو مصلحة الولاية التي يحكمونها ، وبين مزارعين يأخذون القليل من نتاج زراعتهم ، وهذا القليل قد لا يفي بمتطلبات الاستمرار في الزراعة ، وبين تجار كانوا حريصين على مهادنة الحكم بأي وسيلة كانت بما فيها الرشوة .

أما عن الآثار الإيجابية ، فإن حكم البريطانيين لعدن ، وإن كان قد أضر بالموانئ اليمنية الأخرى إلا أنه كانت له أثاره الإيجابية على تجارة البن ، فقد دفعت الإمكانات الحضارية لهذا الميناء التجار المحليين للتعامل معه ، كما دفع هذا العديد من دور تجارة البن العالمية إلى افتتاح فروع لها في عدن وفي الحديدة لرعاية تجارة البن اليمني . وقد أدى هذا إلى عودة الروح إلى تجارة البن اليمني وبالتالي عودة شيء من الانتعاش الاقتصادي للموانئ اليمنية على الرغم من أن عدن قد أصبحت أو كادت أن تصبح المعبر الوحيد لتجارة اليمن الخارجية .

أما عن انعكاسات تجارة البن على الحياة السياسية في اليمن ، فإننا وإن كنا لا نزعم أن تجارة البن كانت هي الدافع الأساسي لاستعمار بريطانيا لعدن ، إلا أننا نستطيع أن نذهب بإطمئنان كبير إلى أن تجارة البن كانت أحد أهم الأسباب الدافعة لذلك سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر . فلا يخفى أن أحد أهم محركات محمد عليّ باشا للسيطرة على سواحل اليمن كانت الرغبة في احتكار تجارة البن . ولما كانت بريطانيا تخشى من استفحال أمر محمد عليّ في المنطقة فقد سارعت باستعمار عدن لتحول بينه وبين السيطرة عليها ومن ثم هيأت الظروف السياسية الملائمة لإجلائه عن اليمن وسائر ممتلكاته خارج مصر ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م .

وعلى النطاق المحلي كان ازدهار معابر تجارة البن مدعاة لأن يسعى كثير من الحكام المحليين للسيطرة عليها أو إحلال بدائل لها ، كما فعل الشريف حمود بن محمد بن أحمد إبان توسعه في منطقة تهامة ، وتحويله تجارة البن عن ميناء المخا إلى ميناء اللحية ، وكما فعل من بعده الشريف الحسين بن علي بن حيدر حينما حرص على أن تكون مناطق تجارة البن تحت ممتلكاته ليتحكم في هذه التجارة كيفما شاء ، كذلك ظل ميناء المخا ، اللحية والحديدة محط أنظار القبائل التي كانت تدفعها الفاقة لمهاجمة هذه المراكز الأكثر ثراء لنهبها ، ومعلوم أن سلعة البن هي الأكثر رواجاً على الساحة التجارية اليمنية منذ اكتشافه .

كمية البن الواردة إلى عدن من داخل اليمن أو من موانئه عبر السنين

السنة (م)	الكمية بالأرطال	السنة (م)	الأرطال
١٨٧١	١,٩٩٤,٨٠	١٨٩٥م - ١٨٩٦	
١٨٧٢	٣,٠٤٠,٨٤	١٨٩٦م - ١٨٩٧	
١٨٧٣	٢,٦١٧,٧٨٠	١٨٩٧م - ١٨٩٨	
١٨٧٤	٤,٠٢٥,١٢٠	١٨٩٨م - ١٨٩٩	
١٨٧٥	٣,٩٧٤,٠٨٠	١٨٩٩م - ١٩٠٠	
١٨٧٦	٥,٨٣٧,٢٦٠	١٩٠٠م - ١٩٠١	
١٨٧٧	٥,٥٠٠,٠٠٠	١٩٠١م - ١٩٠٢	٢,٨٨٦,٥٧٦
١٨٧٨	٨,٤٧٦,٩٣٠	١٩٠٢م - ١٩٠٣	٢,١٥٩,٨٠٨
١٨٧٩	٧,٢٨٠,٧٩٠	١٩٠٣م - ١٩٠٤	
١٨٨٠	٧,١٤٠,٩٨٠	١٩٠٤م - ١٩٠٥	
١٨٨١	٢,٦١٨,٥٥٠	١٩٠٥م - ١٩٠٦	٦,٣٣٠,٨٠٠
١٨٨٢	٩,٢٩٢,٩٨٠	١٩٠٦م - ١٩٠٧	٧,٢٠٦,٣٠٤
١٨٨٣م - ١٨٨٤	٢,٧٠٠,٠٩٦	١٩٠٧م - ١٩٠٨	٦,٧١٩,٤٤٠
١٨٨٤م - ١٨٨٥	٢,٦٥٨,٠٩٦	١٩٠٨ - ١٩٠٩	٧,٧٩٦,٨٨٠
١٨٨٥م - ١٨٨٦	٢,٧٥٦,٥٤٤	١٩٠٩م - ١٩١٠	٧,٩٤٠,١٢٨

السنة (م)	الكمية بالأرطال	السنة (م)	الأرطال
١٨٨٦م - ١٨٨٧	٢,٠٣٧,١٦٨	١٩١٠م - ١٩١١	
١٨٨٧م - ١٨٨٨	١,٧٢٧,٠٤٠	١٩١١م - ١٩١٢	
١٨٨٨م - ١٨٨٩		١٩١٢م - ١٩١٣	
١٨٨٩م - ١٨٩٠		١٩١٣م - ١٩١٤	
١٨٩٠م - ١٨٩١	٣,٤٩١,٧١٢	١٩١٤م - ١٩١٥	٧,٢٢١
١٨٩١م - ١٨٩٢	٢,٨٨٩,٦٠٠	١٩١٥ - ١٩١٦	٣,١٦١
١٨٩٢م - ١٨٩٣		١٩١٦م - ١٩١٧	٦,٤٠٣
١٨٩٣م - ١٨٩٤		١٩١٧م - ١٩١٨	٣٤٥
١٨٩٤م - ١٨٩٥		١٩١٨م - ١٩١٩	

١) المصدر :

Trade and Navigation Returns for the Officil Year, 1884 - 1885, - 1885 - 1886, 1886 - 1887, 1892 - 1893, 1907-19-8, 1917 - 1918.

٢) المصدر :

U.S Department of Agriculture. Bureau of Statistics - Bulletin 79. By Harry C. Graham. Washington, Government Printing Office, 1912, P. 88.

جدول يوضح بعض الدول المستوردة للبن اليمني والمقادير التي استوردتها تلك الدول من ميناء عدن خلال الفترة ١٩٠٥-١٩١٠م

الدول المستوردة	١٩٠٥-٦	١٩٠٦-٧	١٩٠٧-٨	١٩٠٨-٩	١٩٠٩-١٠
أستراليا	٩٨,٧٨٤	١٣٠,٠٣٢	١٣١,٩٠٨	١٨٠,٣٢٠	٢٢٤,٤٤٨
المملكة المتحدة	١,٧٧٠,٣٨٤	١,٦٤٢,٨١٦	١,٧٢٣,٣١٦	٩٥٥,٩٤٨	١,٥٠٢,٥٥٦
زنجبار وبمباي	٢٦,٠٩٦	٧٥,١٥٢	١٢٠,٦٢٤	٢١٥,٢٦٤	١٤٥,٤٨٨
موريشوس	٤٦٨,٣٨٤	٣٣٢,٢٨٨	٣٢٥,٣٠٤	٢٥٧,٥٧٢	٢٦٥,٣٢٨
النمسا وهنغاريا	٤٩٣,٠٢٤	٤٤٥,٦٤٨	٥٢٦,٣٧٦	٤٦٢,٦٤٤	٥٦٢,٢٤٠

الدول المستوردة	١٩٠٥-٦	١٩٠٦ - ٧	١٩٠٧-.٨	١٩٠٨ - ٩	١٩٠٩ - ١٠
فرنسا	٣,٥٩٦,٣٢٠	٣,٠١٣,٩٢٠	٤,٢٣٩,٧٨٨	٥,٣٠٢,٩٤٨	٤,٨٧١,٢١٦
إلمانيا	٦٩٤,٥١٢	٤٢٤,١٤٤	٩٢٨,٠٨٨	٧٦٦,٩٧٦	٨٤٠,١١٢
بلجيكا	٤١,٥٥٢	٢١,٣٩٢	٧٧,٠٢٨	١٠٩,٩٨٤	١٠٦,٤٠٠
الأراضي المنخفضة	١٦,٩١٢	٢٨,٤٤٨	١٩,٣٤٨	١٩,٠٩٦	١٧,٨٠٨
ايطاليا	٤٩٣,٢٤٨	٣٧٥,٣١٢	٤٠٩,٨٠٨	٤٧٧,٧٩٢	٤٩١,٥٦٨
اسبانيا	١٤٢,٣٥٢	١٤٠,٠٠٠	١٦٧,١٨٨	١٨١,٨٦٠	٣٢٦,٩٢٨
روسيا	٩٥,٢٠٠	١٦٧,٣٢٨	١٠٨,٢٧٦	١٥٣,٩١٦	١٠٠,١٢٨
الولايات المتحدة الأمريكية	٢,٣٦٢,٦٩٦	٣,٤٠٦,٨١٦	٣,٠٥٩,٧٥٦	٣,١٠٨,٠٨٤	٢,٧٢٠,١٤٤
موانئ البحر الأحمر العربية	٨٦٩,٠٠٨	٧٦٠,٧٠٤	٨١٢,٤٢٠	٩٢٧,٢٢٠	٨٩٤,٣٢٠
بلدان أخرى	١,٦٥٢,٥٨٨	١,٨١٧,٤٢٤	١,٧٠٠,١٠٤	٢,٤٨٣,٠٦٨	٢,٢٠٧,٥٢٠
المجموع	١٢,٨٢١,٠٦٠	١٢,٦٨١,٤٢٤	١٤,٣٤٩,٦٩٢	١٥,٦٠٢,٦٩٢	١٥,٢٧٥,٩٠٤

المصدر :

U.S. Department of Agriculture. Bureau of Sstatistics, Bulletin 88. Coffee Production, Trade, an Consumptions by Countries, By Harry C. Grham, Wasington, Govermnet Printing Office 1912.

يتضح من الجدول السابق أن معدل استيراد فرنسا والولايات المتحدة من البن اليمني يمثل أعلى معدل استيراد من بين الدول المعطاه . حيث بلغ معدل ما استوردته فرنسا في هذه السنوات , ٤ ,٨٣٨ , ٢٠٤ , ٤ ، ومعدل ما استوردته الولايات المتحدة في هذه السنوات ٢ , ٤٩٩ , ٩٣١ , ٢ . كما تمثل كل من الأراضي المنخفضة وبلجيكا أقل معدل استيراد ، إذ بلغ معدل الاستيراد في الأراضي المنخفضة في السنوات المعطاه ٤ , ٣٢٢ , ٢٠ بينما بلغ معدل الإستيراد في بلجيكا في السنوات نفـ ـ ٢١ , ٢٧١ , ٧١ رطل أنجليزي .

جدول كميات البن المصدرة من الموانئ اليمنية إلى الولايات المتحدة

السنة	الكمية بالأرطال
١٨٧٨م	٣,٨٣٦,٤٠٠
١٨٧٩م	٤,٩٠٣,٨٠٠
١٨٨٠م	٤,٢٥١,٦٠٠
١٨٨٤م	٢,٦٩٠,٦٠٠
١٨٩٧م	٨,٨٦٣,٥٠٠
١٨٩٨م	٦,٨٧٩,٣٠٠
١٨٩٩م	٧,١٩١,٠٠٠
١٩٠٠م	٥,١١٩,٨٠٠
١٩٠١م	٥,٧٢٩,٧٠٠
١٩٠٢م	٦,٧٩١,٧٠٠
١٩٠٣م	٤,٦٣١,٧٠٠
١٩٠٥م - ١٩٠٦م	٢,٣٦٢,٦٩٦
١٩٠٦م - ١٩٠٧م	٣,٤٠٦,٨١٦
١٩٠٧م - ١٩٠٨م	٣,٠٥٩,٧٥٦
١٩٠٨م - ١٩٠٩م	٣,١٠٨,٠٨٤
١٩٠٩م - ١٩١٠م	٢,٧٢٠,١٤٤
١٩١٤م	٣,٨٢٥
١٩١٥م	٣,١٤٠
١٩١٦م	٣,١٨٩
١٩١٧م	٤,٢٨٧
١٩١٨	١,٩٤٣

ملاحظة :

يتضح من الجدول السابق أن السنوات ١٨٩٧م ، ١٨٩٨م ، ١٨٩٩م ، ١٩٠٢م تمثل أعلى معدل

للاستيراد ، إذ بلغ معدل الاستيراد في هذه السنوات ٣٧٥ , ٤٣١ , ٧ رطل ، بينما تمثل السنوات ١٩١٤م ، ١٩١٥م ، ١٩١٦م ، ١٩١٧م ، ١٩١٨م أقل معدل للاستيراد ، إذ بلغ معدل الاستيراد في هذه السنوات ٨ , ٢٧٦ , ٣ رطل أنجليزي ، والسبب الواضح لهذا الإنخفاض هو قيام الحرب العالمية الأولى ، وما ترتب عليه من حصار للموانئ اليمنية من قبل الأسطول البريطاني ، إضافةً إلى توتر الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن جراء العمليات العسكرية التي كان يقوم بها السيد/ محمد بن على الأدريسي والعثمانيون أثناء زحفهم البري على منطقة لحج .

١) المصدر :

U.S. Department of Agriculture. Bureau of Sstatistics, By Harry C. Grham

٢) المصدر :

International Trade in Coffee, United states Department of Commerce

٣) المصدر :

The Spice Mill " about Mocha Coffee. March 1904 New York"

جدول يوضح التواريخ المحتملة لدخول القهوة الى بعض البلدان

التواريـــخ	البلـــد
٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م	اليمن
٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م	تركيا
٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م	الهند
١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م	انجلترا
١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م	ايطاليا
١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م	فرنسا
١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م	الولايات المتحدة
١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م	جاوا
١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م	جامايكا
١١٦١هـ/ ١٧٤٨م	كوبا
١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م	المكسيك
١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م	البرازيل

الهوامش والتعليقات

(١) **ابن العماد** . شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج ٨ ، ط٢ .دار المسيرة. بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٠ .

(٢) **عبد القادر بن محمد الجزيري** . عمدة الصفوة في حل القهوة / تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي . ط ١ .أبوظبي: منشورات المجتمع الثقافي ، ١٩٩٦ ، ص ص ٦ - ٨ .

(أ*) أما عن كيفية انتشار القهوة في بلاد اليمن فتتعدد الروايات التاريخية المتعلقة بذلك تبعاً لتعدد مرئيات المؤرخين حول ناشريها . فإحداها يرى أن رجلاً فقيراً اكتشف القهوة عن طريق الصدفة المحضة أثناء تجواله في البراري حوالي منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وعندما ألح عليه الجوع والتعب توقف لإعداد بعض الطعام لنفسه ، وقد قام بتقطيع جزء من النبات الذي كان حوله ليساعده على إعداد طعامه ، وكان هذا الجزء من الشجرة محملاً ببذور جافة ، ولابد أن يسقط جزء من هذه البذور في النار التي أشعلها الأمر الذي أصدر عنها رائحة زكية . فجمع عددًا من هذه البذور ، وعندما طحنها عن طريق حجر معه وجد أن الرائحة الزكية تزداد إلى درجة كبيرة ، وسقط جزء من هذا المسحوق في وعاء يحوي شيئاً من الماء لم يكن على درجة جيدة من الصفاء والعذوبة . ولشدة دهشته تحول هذا الماء عقب سقوط المسحوق الذي بيده إلى ماء نقي وذلك بعد أن تذوقه . وبعد راحة قصيرة عاود الرحالة نشاطه وقوته وجمع أكبر قدر من هذه البذور ، وحال وصوله عدن أخبر مفتيها باكتشافه . ورواية أخرى ترى أن راعيا للماشية يُسمى الخالدي لاحظ أن الماشية التي كان يرعاها دب النشاط والحيوية عليها عندما أكلت من بذور أشجار كانت في المرعى ، وقد حكى هذا الراعي إلى أحد الشيوخ هذه الحادثة , فجرب الشيخ هذه البذور على نفسه ، وعندما وجد أثرها المنشط السريع عليه جربها بغليها وقدمها لاتباعه ومريديه الذين غالباً ما يشعرون بالكسل والنعاس في دروس ذكرهم الليلية . وقد وجد هؤلاء الأتباع عدم صعوبة في السهر والتحصيل بعد ذلك . رواية أخرى ترى أن الشيخ على بن عمر الشاذلي ، كان في رحلة خارج مدينته وبعد أن أضناه التعب جلس ليرتاح تحت شجرة ولاحظ وجود طير كثير جاء ليرتاح على الشجرة ، وبدأ الطير يُغني غناءً جميلاً . حاول الشيخ الوصول إلى الطير وأثناء محاولته لم يظفر من الشجرة إلا ببعض الزهور والبذور ، ملأ جيوبه من هذه البذور وعاد إلى كهفه . وهناك وهو يحاول إعداد طعام عشائه من الأعشاب جاءته الفكرة بتجربة بعض ما حواه جيبه من هذه الأعشاب الجديدة . وقد أخرج منها شراباً ذا رائحة جيدة وتأثير جيد على البدن ، ثم أخذ في تقديمه لضيوفه ، وعاد إلى بلده المخا ، و ازدهر شرب القهوة منذ ذلك الحين . أما الرواية الأخيرة التي سنسردها فتعود إلى الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني ومؤداها أن الشيخ خرج في رحلة إلى بلاد الحبشة ووجد القوم هناك يتعاطون القهوة ، وعند عودته إلى بلاده

أصابه مرض فتذكر شراب القهوة الذي كان قد رآه في بلاد الحبشة ، فشرب منه ، فذهب عنه المرض ودب فيه النشاط . ووجد من خاصية هذا الشراب أنه يذهب النعاس والكسل ويورث البدن خفة ونشاطاً . فلما سلك طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفيه بعدن يستعينون بشربها ، تم تتابع الناس من بعدهم على استعمالها .

يتضح من الروايات الأربعة السابقة الكثير من ا لاضطراب والتشابه فيما بينها مع الفارق الزمني والمكاني بين أصحابها . على أننا نستطيع أن نخلص بشيء من الحذر إلى أن اكتشاف البن تم عن طريق الصدفة المحضة ، وإنه كان وقفاً على بعض شخوص شيوخ الصوفية بغض النظر عن أسمائهم. كما أننا نخلص إلى أن اكتشاف البن و استعماله كشراب متداول بين الناس إنما عُرف أول الأمر في بلاد اليمن ثم انتقل منها إلى سائر الأمصار .

لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر : عبد القادر الجزيري ، المرجع السابق. كذلك : عبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد، رسالة في القات والفتة والقهوة والبن وسائر المخدرات مخطوط .المدينة المنورة : (د.ت) . (المكتبة المحمودية ؛ ٩٨) . (مخطوط)

(٣) **Ralph S. Hattox,** *Coffee and Coffee Houses,* University of Washington Press, Seattle, London P. 28.

(٤) **Ralph S. Hattex,** , Ibid. P. 33.

(٥) الجزيري . المرجع السابق . ص ٤٨ .

(٦) الجزيري . المرجع السابق . ص ٥٠ .

(٧) **William Ukeres**, *The Romance of Coffee,* New York. The Coffee and Tea **Trade Journal,** 1948. P. 31.

(٨) **William Ukeres,** Ibid. PP. 39 - 49.

(٩) **William Ukeres,** Ibid. P. 77.

(١٠) الجزيري . المرجع السابق . ص ص ٥٩ - ٦٣ .

(١١) **Ralph S. Hattex,** , Ibid. PP. 39 - 40.

(١٢) **Daniel Crecelius.** A late Eighteenth Century Austrian attempt to develop the Red Sea Trade Route. *Middle Eastern Studies(london)* **Vo. 30** , No. 2, April 1994. Frank Cass. P. 262.

(١٣) اليمن في أوائل القرن السابع عشر : مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الإقتصادي لجنوب الجزيرة العربية ١٦١٤ - ١٦٣٠ اختيار وتعريب وتعليق ك. خ براور وإكبلأنيان . ص ٨٥ .

(١٤) **Adnre Raymond**. Artisans ET Commercannts Au Caire Au XVIII. Siecle, Tome 1, Damas 1973, P 297.

(١٥) **Eric Marco.** *Bibliography on Yeman and Notes on Mocha,* University of Miami Press 1940. P. 57.

(١٦) **Eric Marco,** Ibid. P. 57 .

(١٧) **Eric Marco,** Ibid. P. 39 .

(١٨) RB Serjeant and Ronald lewcock, Sana(-), *An Arabian Islamic City, world of Islam Festival Trust,* Cambridge, England, 1983 PP 78 - 79.

(١٩) ك .خ. براور. اليمن في أوائل القرن السابع عشر. سلسلة منشورات المعهد الهولندي للاثار المصرية والبحوث العربية بالقاهرة. بريل للنشر. ليدن.١٩٨٨. ص ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢٠) **Merid W. Aregay,** The Early History of Ethiopia`s Coffee Trade and the Rise of Shawa, *Journal of African History,* **29** , 1988. P. 21.

(٢١) **سلوى سعد سليمان الغالبي** : الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن ١٠٥٤هـ - ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤م- ١٦٧٦م . (ماجستير) . جامعة الملك عبد العزيز (جدة).

(٢٢) **أحمد الحيمي** ، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى . مخطوط . ص ٩٠ .

(ب*) لقد اتخذت كافة الشركات الأوروبية الكبرى والهولندية ، الأنجليزية ، الفرنسية ، وكالات Factories في موانئ اليمن المختلفة ، وعلى وجه الخصوص ميناء المخا الأكثر إزدهاراً إبان القرن السادس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي . وهذه الوكالات في مجملها عبارة عن مباني إما مُستأجرة أو مساكن تبنيها الشركة - بعد أخذ تصريح من الحاكم - العثماني، الأئمة الزيديين - على مساحة من الأرض لتخزين البضائع فيها ولتأمين السكن للمقيمين في المدينة من أفراد الشركة . ويقوم على إدارة هذه الوكالات مقيمون تعينهم الشركة من أبناء جلدتها ، بينما يتولى الوكلاء (Agents) أمور الإشراف على التجارة ، وقد يُعين هؤلاء الوكلاء ممن تثق فيهم الشركة من التجار العرب أو البانيان . وقد يُعين وكيل واحد لأكثر من شركة في ذات الوقت . لقد كان التجار الأوروبيون يتمتعون بمزايا تفوق ما يتمتع به نظراؤهم التُجّار من الجنسيات الأخرى وذلك فيما يتعلق بنسبة الضرائب وتخزين السلع التجارية ووزنها . فلقد تراوح ما كان يدفعه التجار الأوروبيون من ضرائب في ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م بـ ٣ , ٣٪ - ٣٪ مُقارنةً لما كان يدفعه غيرهم من الجنسيات الأخرى التي قد تصل نسبته ١٦٪ . وقد ظل هذا التمييز مرعياً حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي ، مع تحسن

طفيف في مقدار ما يدفعه التُجّار غير الأوروبيين . كما تمتع الأوروبيون بميزة استقبالهم وتصديرهم لسلعهم التجارية من داخل وكالاتهم التجارية والتي غالباً ما كانت بناية سكنية بجوار الساحل دونما حاجة إلى تمريرها إلى مباني جمرك المدينة ، بينما كان التجار الآخرون من غير الجنسيات الأوروبية ملزمين بتمريرها إلى مباني الجمرك . لقد كان لشركة الهند الشرقية ا لانجليزية في المخا مبنى كبير بالقرب من البحر اتخذته الشركة كوكالة تجارية لها ، ومع نهاية القرن السابع عشر الميلادي أصبح لها مبنيان أحدهما في شمال المدينة ، والآخر في جنوبها . ولقد أشار كارستن نيبور إلى أن الشركة كان لها أكثر من مبنى في المخا إضافةً إلى وكالة أخرى في مدينة بيت الفقيه . كما أقام الهولنديون وكالتهم بالمخا كفرع من المحطة التجارية الهولندية الرئيسية في سورات بالهند ، وترأسها هيرمن فن خل ، إلا أنه ساءت العلاقات بين الوالي العثماني و رئيس المحطة الهولندية دي ميلده الأمر الذي تمخض عن أسر رئيس المحطة وبعض أعوانه ومصادرة سلع الوكالة . وكان هذا الوالي يخشى إن هو أطلق سراح هؤلاء الهولنديين ستعاود الشركة أعمال القرصنة في البحر الأحمر ، ومن جانبهم رأى مسئولو الشركة (V.O.C.) أن تجارة المخا تُعتبر قليلة الأهمية في هذه المرحلة الزمنية ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م - ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م إذ إن الشركة لا تتمكن في الغالب من بيع حمولات سفنها في المخا نتيجة للحروب الطاحنة بين العثمانيين والزيديين ، وعلى هذا فإن من الأفضل عدم اتخاذ مقر ثابت للشركة في المخا . و اكتفى الهولنديون ببعض الزيارات المتقطعة للميناء لأغراض تجارية ، على أنه شُوهد للهولنديين وكالة تجارية بالمدينة في ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م وكان موقعها في الشمال الغربي من المدينة ، ولعل السبب في هذا يكمن في انتهاء حالة الحرب في اليمن والتي أسفرت عن خروج العثمانيين ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م .

أما بالنسبة للفرنسيين فإن تجارتهم في المخا لم تستمر لأكثر من خمسين عاماً ، فبعد منتصف القرن الثامن عشر بقليل أقفل الفرنسيون وكالتهم التجارية بالمخا واكتفوا بزيارة سفنهم إلى هذا الميناء على فترات متباعدة .

(ج*) كانت استراتيجية الهولنديين التجارية - وهم القوة الأكثر مهابة في القرن السابع عشر الميلادي - تقتضي بمهاجمة سفن البرتغاليين ومن حالفهم وتدميرها ونهب حمولتها . وقد أدى هذا إلى تفشي أعمال القرصنة البحرية أمام السواحل اليمنية . وقد يتعدى الأمر مهاجمة السفن إلى ضرب المدن الساحلية اليمنية إذا ما حدث خلاف بين الحاكم المحلي وقادة هذه السفن . كما حدث مع الفرنسيين ١٠٥١هـ/ ١٧٣٨م حينما ضُربت المخا - كما ذكرنا سابقاً - وكما حصل عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م جراء مهاجمة بعض قراصنة البحر الأوربيين لبعض السفن الإسلامية أمام سواحل المخا . ولا يخفى ما لهذه الأعمال العدوانية من تأثير على اضطراب التجارة البحرية .

(٢٣) **Francis B. Thurber,** *Coffee from Plantation to Cup: a brief history of Coffee*

Production and consumption, American Grocer Publishing Association, 1880, P 59.

(٢٤) **Merid W. Aregay,**Ibid.P23

(٢٥) **J. A. Kieran,** The Origins of Commercial Arabica Coffee production in East Africa, African Historical Studies, The African Studies Center, Boston University, P. 52.

(٢٦) **William Ukeres,** Ibid , 1984. P. 4.

(٢٧) **William Ukeres,** Ibid,P. 23 .

(٢٨) **R.B. Sergeant,** and **Ronald Lwecock,** , P.P 84-85.

(٢٩) **R.B. Serjeant** and **Ronald Lewcock,** Ibid. P. 87.

(٣٠) **R.B. Serjeant** and **Ronald Lewcock**, Ibid. P. 82.

*(د) لاتوجد إحصاءات دقيقة عن كميات البن اليمني المصدر في الفترة ١٤٥٠-١٧٢٠م وانما يستطيع الباحث أن يفترض افتراضا منطقيا أن البن المصدر من الموانئ اليمنية في تلك الفترة كان يزيد عن ١٧٠٠ بالة حيث أن اليمن كانت المصدر الوحيد للبن الذي انتشر تداوله في الأمصار الاسلامية .

(٣١) **Eric Macro,** Ibid, P. 57.

(٣٢) **Eric Macro,** Ibid. P 57.

(٣٣) **Muhammed S. Al-Sha`afi,** *The Foreign Trade of Juddah During Ottoman Period 1840 - 1916,* ed1985, P. 80.

(٣٤) **G. Warn Ford, Lock, F. L. S.** *Coffee: its culture and commerce in all countries,* E & F. N. Spon, London 1888, P. 169.

(٣٥) **L. De Brand** *Avoyage in Indian Ocean and to Bengal Undertaken in* the Years 1789 - 17 90, printed for G. and J. Robinson, London, 1803 , pp 232 - 235.

(٣٦) **L. De Grandpr`e,** Ibid, P. 234.

(٣٧) **Daniel Crecelius,** Ibid, P. 263.

(٣٨) قيصر فرح Re-Affirming Ottoman Sovereignty in Yeman . المجلة التاريخية المصرية . س ١٠ع ٣٢و ٣٢ . ١٩٨٣ ص ص ١٩١ - ٢٠٦ .

(٣٩) **Edward Ingram**, A Preview of the Great Game in Asia, The British Occupation of Perim and Aden in 1799, *Middle Eastern studies* PP. 3 - 4.

(٤٠) **Halford Laneaster Hoskins,** *British Routes to India,* Octagon Books, Inc, Newyork, 1966, P. 195.

(٤١) **قيصر فرح** . المرجع السابق . ص ١٩٨ .

(٤٢) **قيصر فرح** . المرجع السابق . ص ١٩٥ .

(٤٣) **قيصر فرح** . المرجع السابق . ص ١٩٥ .

(٤٤) **سيد مصطفى سالم** . تكوين اليمن الحديث . القاهرة . مكتبة مدبولي، ١٩٨٤ .ص٥٥

(٤٥) **N. P. Van Den, Bery, L.L. D,** *Historical Notes on the Production and Consumptions of Coffee,* Batauia, G. Koleff & Co., 1880, P. 31.

(٤٦) **F. Van Delden Laerne,** *Brazil and Ja va Report on Coffee Culture in Asia, and Africa,* London, W. H. Allen & Co. 1885, PP 429 - 431.

(٤٧) **Harry C. Graham,** Ibid, P. 87.

(٤٨) **Andre` Raymond**, *Artisans, et commerce au Caise,* au XVIII Siecle, Tone 1, Damas, 300 - 1973, PP 294.

(٤٩) **N. P. Van Delden,** Ibid, P. 430.

(٥٠) **N. P. Van Delden,** Ibid, P. 430.

(٥١) **Francis B. Thuber,** Ibid, P. 61.

(٥٢) **N. P. Van Delden,** Ibid, P. 431.

(٥٣) **Harry C. Graham,** Ibid, PP

(٥٤) **Harry C. Graham,** Ibid, P. 88.

(٥٥) **N. P. Van Delden,** Ibid, P. 431.

(٥٦) Notes on Travel or Recollections of Majunga, Zinzibar, Muscat, Aden, Mocka, and other easerns ports, Salem, Published by George Creamer, 1854, PP 179 - 184.

(٥٧) لمعرفة أسباب ذلك، انظر ص ١٤

(٥٨) انظر ص ١٥

(٥٩) G. Warn ford Lock,f.l.s,Ibid.p169

(٦٠) انظر ص ١٠

(٦١) **عبد الفتاح حسن أبو عليه** . العلاقة التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣م - ١٨٦٢م ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، مج ١٧ ، ع ٦ ، (١٩٨٢). ص ص ٢٥٨ - ٢٦٤ .

(٦٢) **Carl E. Mcdowell,** *Ocean Transportation,* Helen MG IBBS, New York Mc. Gaw - Hill, Book Company, 1954, P 21.

(٦٣) **Coupland, R.,** *East Africa, Its Invaders*, Oxford, 1938, P. 362.

(٦٤) **Eric Macro,** Ibid. PP 42.

(٦٥) Notes on Travel , P 166.

(٦٦) **Eric Macro,** Ibid. PP 42 - 43.

(٦٧) **قيصر فرح** . المرجع السابق . ص ٢٠٦ .

(٦٨) **About Mocha Coffee ,** Livierato Bros, The Spice Mill. Newyork,(March 1904). PP 95 - 96. .

(٦٩) **Notes on Travel** , P 166.

(٧٠) **India Office** R/20/12232: A letter No. 25. of 2909 from the Secretary Chamber of Commerce to the First Assistant Resident.

(٧١) **About Mocha Coffee** . The Spice Mill. (March 1904). P. 96.

(٧٢) **India Office** R/20/12232: A letter from P. Captain of the Caracanda Bros. Of Feb., 26th 1909 - to His Excellency the Governor of Aden.

(٧٣) Important Case Involving Word (Mocha); The trial of the case of government Vs. The Thomason & Tyler Spice Co. The Spice Mill,(March 1912), PP 204 - 223. NY.

(٧٤) **India Office** R/20/12232: A letter No 159 of the 9th Jan. , 1907 from Captain F. de. B. Hancock: Acting First Assistant Resident, Aden to the Secretary of Chamber of Commerce, Aden.

(٧٥) **India Office** R/20/12232: A letter No 98 of 1906 from the Chamber of Commerce to the First Assistant Resident, Aden.

(٧٦) **India Office** R/20/12232: Notes of the Warf Superintendent of the Aden Port Trust.

(٧٧) **India Office** R/20/12232: A letter No 250 of 1909 from the Secretary Chamber of Commerce to the First Assistant Resident.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

أباظة ، فاروق عثمان . *عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩م - ١٩١٨م*. القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

أبو عليه ، عبد الفتاح حسن . العلاقة التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣ - ١٨٦٢م . *مجلة كلية العلوم الإجتماعية* . ع٦ . (١٩٨٢) . ص ص ٢٥٧ - ٢٨٧ .

أبي مخرمة ، أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد . *تاريخ ثغر عدن* . القاهرة . مكتبة مدبولي ، ١٩٩١.

براور ، ك . ج . وآركبلاينان ، *اليمن في أوائل القرن السابع عشر : مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الإقتصادي لجنوب الجزيرة العربية ١٦١٤م - ١٦٣٠م* ليون : ا . ي بريل ، ١٩٨٨ .

الجرموزي ، مطهر بن محمد الهادي ، *كتاب تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار* . (مخطوط).

الجزيري ، عبد القادر بن محمد . *عمدة الصفوة في حل القهوة* . تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي . أبوظبي : منشورات المجمع الثقافي ١٩٩٦ .

الحداد ، محمد يحي . *التاريخ العام لليمن : التاريخ السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن* : اليمن الحديث . ج٤ . بيروت : منشورات المدينة ، ١٩٨٦ .

الحيمي ، احمد .*طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى* . (مخطوط).

سالم ، سيد مصطفى . تكوين *اليمن الحديث : اليمن والإمام يحي* (١٩٠٤ - ١٩٤٨م). ط ٣ القاهرة . مكتبة مدبولي ١٩٨٤ .

سالم، سيد مصطفى. *الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨م- ١٦٣٥م*. ط ٣. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨.

السعدي، عباس فاضل. *البن في اليمن: دراسة جغرافية*. صنعاء: مركز الدراسات اليمنية ١٩٩٢.

المداح، أميرة علي. *العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م- ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م*. جدة. تهامة ١٩٨٢م.

عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم. النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني (١٥١٧هـ/ ١٧٩٨م) *مجلة الدارة*. ع٢، س٦ (ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م). ص ص ٩٠- ١٢٤.

عبد الكريم، أحمد عزت. البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة: أبحاث الأسبوع العلمي الثالث ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩: سمنار الدارسات العليا للتاريخ الحديث. القاهرة: جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

الغالبي، سلوي سعد سليمان، *الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن ١٠٥٤هـ-١٦٤٤م- ١٦٧٦م*. (ماجستير). كلية الآداب. جامعة الملك عبد العزيز. (جدة)، ١٩٨٩.

فرح، قيصر. . - *1825 - 1840 Reaffirming Ottoman Sovereignty in Yeman*. المجلة التاريخية المصرية. س ١٠، ع ٣١، ٣٢. ١٩٨٣. ص ص ١٩١ - ٢٠٦.

النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد. *البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)*. الرياض دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٦٧.

هانسن، توركيل. *من كوبنهاجن إلى صنعاء*. ترجمة محمد أحمد الرعدي. بيروت: دار العودة، ١٩٨٣.

الواسعي، عبد الواسع بن يحي. *تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن*. اليمن: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Aregay, Merid W. The Early History of Ethiopia's Coffee Trade and the Rise of Shawa. *Journal of African History.* **29** (1988) PP. 19 - 25.

Avoyage in the Indian ocean and to Bengal. Undertaken in the years 1970: Containing an account of the

Sechelles Islands and Trincomale; The Character and Arts of the People of Indian; with some remarkable religions rites of the inhabitants of Bengal. To which is added; Avoyage in the Red Sea; Including a description of Mocha, and of the Trade of the Arabs of Yemen. . London : S. Hamilton ,(1803. Vol II).

Berg, N. P. Van Den. *Historical Statistical Notes on the Production* and Consumptions of Coffee. Translated from the Dutch by G. G. Batten. Batvia. G. Kolff & Co. 1880.

Crecelius, Daniel. A late Eighteenth. Century Austrian Attempt to Develop the Red Sea Trade Route. *Middle Eastern Studies.* (London)Vol. 30 , No. 2 April , 1994 PP 262 - 280 .

Frankl, P.J.L, *Robert Finlay's Desfription of* Sana' in 1238 - .١٢٣٩ British Society for Middle Eastern Studies Bulletin. Vol. 17 , nol (1990) PP 16-32.

Freitag, Ulrike & Clarence-Smith, William G. *Hadhrami Traders, Scholars And Statesmen In The Indian Ocean* , 1750s- 1960s. New York. Brill, 1997.

Graham, Harry C. *Coffee. Production, Trade, and Consumption, by Countries.* U.S. Department of Agriculture. Bureau of Statistcs. Bulletin 79 Washington. Government Printing Office 1912

Hattox, Ralph. *Coffee and Coffee Houses.* Seatle and London. University of Washington Press , 1985.

Hoskins, Halford Lancaster, *British Routes to India.* New York. Octagon Books Inc , 1966.' Important Case Involving Word 'Mocha' : The Trial of the Case of Government VS. The Thomson & Taylor Spic Co. Full Report of Testimony. The Spice Mill (Newyork) March ,1912 .

'Livierato Bros." About the Mocha Coffee: At least 20 percent of the total production comes to the United States. The Spice Mill. (Newyork) March , 1904 .

Kieran, J.A., The Origins of Commercial Arabica Coffee Production in East Africa. *African Historical Studies.* Vol. II. Boston. 1969. The African Study Center of Bosten University.

Laerne, C. F. Van Delden, *Brazil and Java: Report on Coffee* - Culture in America, Asia and Africa to H. E. the Minister of the Colonies. London. The Hague, Martinus Nighoff , 1885.

No. 98 of 1906 India Office, a letter to Captain F. De B. Hancock of 20th September 1906.

The Chamber of Commerce.

No. R/20/A/2232 India Office, a letter from Henorary Bearekarry to Major H. F. Jacop, First Assistant Resident. In 26th July , 1911.

No. A/164/of 1909 India Office, a letter from Major J. W. B. Merewether-to-Honrrary Secretary. No. 157 of 1907 India Office, a letter from Captain F. DE. B. Hancock to the Secretary, Chamber of Mommerce, Aden.

No. 17 of 1907 India Office, a letter to Captian F. de. B. Hancock. 25th January 1907 from Nonrary Secretary. No. 144 of 1907 India Office, a letter to Major C. F. Harold. First Assistant Resident of 24th July 1909 from Honarary Secretary.

No. 1250 of 1909 India Office, a letter from the Secretary Chamber of fCommerce, dated 24th July, 1904 to the First Assistant Resident. No. 4130, dated 7th July 1907 India Office, letters to the Secretary to Government, Revenue Department, Bombay. From P. R. Legh, Lieu - Colone. Acting Political Resident, Aden.

No. 98, dated 20th Sep., 1906 India Office, a letter to Captain F. De. B. Hancock. First Assistant Resident, Aden. From E. S. Murray. Honarary Secretary.

No. 159, Dated 9th January 1907 India Office, a letter to the Secretary, Chamber of Commerce, Aden. From F. De. B. Hancock, Captain Acting First Assistant Resident, Aden.

1) A letter of the Consul of Aden of March 19th 1881 to the Collector of Boston, American Natoinal Arrcheives,Washington D.C

2) A letter to John Hay, dated March 19, 1881 - From U. S. Consul ,American national Archeives, Washington D.c

3) No. 39 in 17 March, 1881, a letter from the U. S. Counsulate in Aden and Hodeida to Assistant Secretary of State. Washington D. C , American national archeives, washington D.C

4) A letter of 10th Dec. 1884, to Assistant Secretary of State Washington D. C. From U.S. Counsule at Aden , American national Archeives, washington D .C

5) A letter of 4th Sep. 1885 to Assistant Secretary of State from U. S. Counslate, Aden. Counsule at Aden ,American National Archeives, Wachington D.C

6) A letter of February, 14, 1888. From the U. S. Counsulate, Aden to the Asst. Secretary of State, Washington. D.C , American national Archeives, washington D.C.

7) A letter from the Acting Counsul Terruzzi - to the U. S. Counsular Agent. Hodedah, th Oct. 1902 , American National Archeives, washington D.C

8) A letter of Sept. 28, 1897 to Assistant Secretary of State W. W. Rochile from the U. S. Counsul, Aden , american national archeives, washington D.C

9) A letter of November 8, 1892 to U. S. Assistant Secretary of State, Washington, D.C. from U. S. Counsul, Aden ,American National Archeives , washington D.C

10) A letter of 10th Dec. 1884, to Assistant Secretary of State Washington D. C. From U.S. Counsule at Aden , American National Archeives, Washington D.C

11) A letter of March 29, 1897 to Assistant Secretary of State, Washington D. C. from Us. Counsul, Aden , American National Archeives, Washington D.C

Lock, C. G. Warnform. *Coffee: It's Culture and Commerce in all Countries.* New York. E & F.N. Spon , 1888.

Macro, Eric. *Bibliography on Yemen and Notes on Mocha.* Florida. University of Miami, Press , 1960.

Notes of the Warf Superintendant of the Aden Port Trust.

Ochsenwald, William. *Religion, Society and the State in Arabia.* The Higaz under Ohio : Ohio State University Press ,1984.

Osgood, Joseph Barlow Felt. *Notes of Travel or Recollections of Majunga, Zanzibar, Muscat, Mocha, and other easterns Ports.* Salem : George Creamen , 1854.

Panzac, Daniel. International and Domestic Maritime Trade in the Ottoman Empire During the 18th Century. *Int. J. Middle East Study* (USA) 24, 1992 . PP 189 - 206 .

Philipn, Thomas. The Syrians in Egypt 1725 -1975. Stuttgart. Franz Steiner Verlag Wiesbaden GMBH , 1985.

Raymond, Andre. *Artisans Et Commercants AU Caire AU X VIII Siecle.* Tome I. Damas. Institute Francais De Damas ,1973.

RB Sergeant and Ronald Lewcock, San: *An Arabian Islamic City,* London The World of Islam Festival Trust, 1983.

Report on the Trade and Navigation of Aden for the Official Year 1884 - 54, 1885 - 86 1886 - 87, 1892 - 93, 1907. 1908 .

Report on the Trade and Navigation of Aden for the Offical Year 1917 - 18. Prepared in the office of the Trade Registration Department, Aden. Bombay printed at the Government Centeral Press , 1918.

Al-Sha'afi, Mohammad S. *The Foreign Trade of Juddah. During the Ottoman Period* 1840 - 1916 Riyad, 1985. King Saud University.

Simmonds, P.L. *Coffee and Chicory: Their Culture, Chemical Composition, Preparation for Market, and Consumption with Simple Tests for Detecting Adulteration, and Practical Hints for the Producer and Consumar.* London , E & F.N. Spon. 16, Buchlersbury , 1864.

Thurber, Francis B. *Coffee: From Plantation to Cup. A Brief History of: Coffee Production and Consumptions.* New York : American Grocer Publising Association., 1881.

Ukers, William H. *The Romance of Coffee*. New York The Tea and Coffee Trade Jounal , 1948 , Compiled for Ukers Tea and Coffee Buyers by the Bureau of Statistics, Department of Commerce and Labor from official repoorts of the respective countries.

Ukers' Tea and Coffee Buyer's Guide. 1912 -1913. L.C. HD 9195 AIU 5.

United States Department of Commerce. *International Trade in Coffee.* L. C. Class HD 9199. Book A1 B8 , 1926.

U.S. Bureau of Statistics, Treasury Department. *Imports of Coffee and Tea. 1490 - 1896* .

Wakeman, A. *"Reminiscences of Lower Wall Streeet and Vicinity"* The Spice Mill. New York, May 1911.

Walsh, Joseph M. *Coffee: It's History: Classification and Description.* Philadelphia. Published by the Author. 1894.

The Yemeni Coffee Trade and Its Effect on the Political Life 854-1337 H / 1450-1918 AD

HANI ZAMIL ABDULILAH MOHANNA
History Dept., Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. The purpose of this study is to draw attention to the Yemeni Coffee Trade, which is rarely dealt with in Arabic. The face talks briefly about the emergence of the plant in the Yemen and the widespread of its trade internationally. The following chapters deal with coffee production and trade in the Yemen during a period of time from 1450 to 1918. It shows that the coffee trade went through three different stages. Firstly, the stage when Yemen was the only producer of coffee, therefore coffee trade was prosperous, and flourished widely on a local and international scale. The second stage describes the great drop in Yemeni coffee production following the transportation of the coffee tree to Java by the Dutch. The third stage concerns the revival of the trade when American traders started their commercial activities in the east. These chapters also shed lights on the political life of the Yemen during the coffee trade activities. The conclusion shows how the Yemeni coffee trade affected political life and was itself affected at the same time.